المكتبة الذهبية للأطفال

الفتاة النبيلة والقرصان

تأليف : د. حسام العقاد

رسوم : ماهر عبد القادر

إخراج فنى : كرم شعبان

المركز العربى الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الذهبية للأطفال

تابع معنا..

المغامرات المثيرة والأحداث الشيقة

الفتاة النبيلة والقرصان

دَخَلَ

كَبِيرُ التُّجَّارِ قَصْرَهُ الكَبِيرَ، وَسَارَ دَاخِلَ حَدِيقَتِهِ الْوَاسِعَةِ، وَهُوَ مُتَجَهِّمُ الْوَجْهِ، حَزِينٌ، وَجَلَسَ تَحْتَ ظِلَالِ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ، وَشَرَدَ بِبَصَرِهِ مُفَكِّراً فِي أَحْوَالِ مَدِينَتِهِ...

كَانَتْ مَدِينَةُ الْخَيْرِ تَمُرُّ بِأَزْمَةٍ طَاحِنَةٍ... لَقَدِ اجْتَاحَتِ السُّيُولُ أَرْجَاءَ الْمَدِينَةِ، فَأَغْرَقَتِ الزَّرْعَ وَالثِّمَارَ، وَقَتَلَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَهَدَمَتِ الْمَنَازِلَ وَالْبُيُوتَ...

وَصَارَ النَّاسُ يَعِيشُونَ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ...

وَهَزَّ كَبِيرُ التُّجَّارِ رَأْسَهُ، وَأَبْصَرَ ابْنَتَهُ الشَّابَّةَ لَيْلَى تَعْتَنِي بِالزُّهُورِ الْجَمِيلَةِ، وَتُقَدِّمُ الطَّعَامَ فِي حُنُوٍّ لِلطُّيُورِ الْمُلَوَّنَةِ... وَكَانَتْ مُسْتَغْرِقَةً فِي عَمَلِهَا، فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ وَهُوَ يَنْهَضُ وَاقِفاً، وَيَتَّجِهُ إِلَيْهَا، وَيَقُولُ فِي حُبٍّ:

ـ لَيْلَى... ابْنَتِي... كَيْفَ حَالُكِ؟

أَشْرَقَ وَجْهُ لَيْلَى بِابْتِسَامَةٍ جَذَّابَةٍ وَهِيَ تَقُولُ:

ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا أَبِي...

وَرَأَتِ الْحُزْنَ يُخَيِّمُ عَلَى مَلَامِحِهِ، فَهَتَفَتْ:

ـ إِنَّهَا أَحْوَالُ الْمَدِينَةِ... أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَحْنَى كَبِيرُ التُّجَّارِ رَأْسَهُ قَائِلاً:

ـ بَلَى . . .

قَالَتْ لَيْلَى فِي إِصْرَارٍ :

ـ لَا بُدَّ أَنْ تُسَاعِدَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ . . .

رَمَقَهَا الأَبُ فِي رِضَاءٍ تَامٍّ وَهُوَ يَقُولُ :

ـ بِالتَّأْكِيدِ . . .

سَأَلَتْهُ لَيْلَى فِي حَيْرَةٍ :

ـ كَيْفَ؟

أَجَابَ كَبِيرُ التُّجَّارِ دُونَ تَرَدُّدٍ :

ـ سَتَصِلُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ قَافِلَةٌ كَبِيرَةٌ مُحَمَّلَةٌ بِالطَّعَامِ، وَلَنْ أَبِيعَ مِنْهَا شَيْئَاً . . . سَأُقَدِّمُهَا كُلَّهَا لِلْفُقَرَاءِ . . .

هَلَّلَتْ لَيْلَى فِي سَعَادَةٍ، بَيْنَمَا الأَبُ يَقُولُ :

ـ وَسَأَتَبَرَّعُ بِنِصْفِ ثَرْوَتِي لِإِعْمَارِ الْمَدِينَةِ . . . وَسَأُقْنِعُ كُلَّ التُّجَّارِ بِمُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ، حَتَّى نَتَجَاوَزَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ . . .

قَالَتْ لَيْلَى فِي زُهُوٍّ :

ـ أَبِي . . . أَنَا فَخُورَةٌ بِكَ . . .

وَأَقْبَلَ الْخَادِمُ، وَوَقَفَ أَمَامَ كَبِيرِ التُّجَّارِ وَهُوَ يَقُولُ :

ـ رَجُلٌ يُرِيدُ مُقَابَلَتَكَ يَا سَيِّدِي . . .

هَتَفَ كَبِيرُ التُّجَّارِ فِي بَشَاشَةٍ :

ـ مَرْحَباً بِهِ . . . دَعْهُ يَدْخُلْ . . .

وَلَمْ تَرْتَحْ لَيْلَى لِلزَّائِرِ . . . كَانَ وَجْهُهُ يَبْدُو قَاسِياً، شِرِّيراً، وَالْمَكْرُ يَنْطَلِقُ مِنْ عَيْنَيْهِ الضَّيِّقَتَيْنِ . . . فَاسْتَأْذَنَتْ وَالِدَهَا وَابْتَعَدَتْ، بَيْنَمَا قَالَ الزَّائِرُ:

ـ أَنَا رَغْدَانُ . . .

قَالَ كَبِيرُ التُّجَّارِ مُرَحِّباً:

ـ مَرْحَباً بِكَ يَا رَغْدَانُ . . . إِنِّي أَعْرِفُكَ بِالتَّأْكِيدِ . . . أَنْتَ أَثْرَى رَجُلٍ فِي مَدِينَةِ الْخَيْرِ . . .

قَالَ رَغْدَانُ:

ـ عَلِمْتُ أَنَّ قَافِلَتَكَ قَادِمَةٌ بَعْدَ يَوْمَيْنِ . . . وَقَدْ جِئْتُ أَعْرِضُ عَلَيْكَ شِرَاءَ الْبَضَائِعِ كُلِّهَا . . .

هَمَّ كَبِيرُ التُّجَّارِ أَنْ يَعْتَرِضَ، وَلَكِنَّ رَغْدَانَ قَالَ مُحَاوِلاً إِقْنَاعَهُ:

ـ بِضِعْفِ ثَمَنِهَا . . .

وَأَطْرَقَ كَبِيرُ التُّجَّارِ مُفَكِّراً فِي دَهْشَةٍ وَذُهُولٍ . . . بَيْنَمَا الْتَمَعَتْ عَيْنَا رَغْدَانَ فِي مَكْرٍ وَخُبْثٍ .

تَوَقَّفَتْ عَرَبَةٌ صَغِيرَةٌ يَجُرُّهَا جَوادٌ أَسْوَدُ قَوِيٌّ أَمَامَ بَوَّابَةِ قَصْرِ كَبِيرِ التُّجَّارِ، وَهَبَطَتْ مِنْهَا امْرَأَةٌ وَقَفَتْ تَنْظُرُ إِلَى حَدِيقَةِ القَصْرِ مِنْ خِلالِ البَوَّابَةِ الْمَفْتُوحَةِ، حَتَّى أَبْصَرَتْ لَيْلَى فَصَاحَتْ فِي انْفِعَالٍ:

ـ لَيْلَى... لَيْلَى...

تَوَقَّفَتْ لَيْلَى، وَنَظَرَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي دَهْشَةٍ، وَاتَّجَهَتْ إِلَيْهَا قَائِلَةً:

ـ أَتَعْرِفِينَنِي يَا سَيِّدَتِي؟

قَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي تَوْكِيدٍ:

ـ مَنْ لَا يَعْرِفُ لَيْلَى ابْنَةَ كَبِيرِ التُّجَّارِ... الفَتَاةَ الْخَبِيرَةَ فِي زِرَاعَةِ الأَعْشَابِ الطِّبِّيَّةِ، والَّتِي تُدَاوِي بِهَا الْمَرْضَى وَالْجَرْحَى مَجَّانًا...

وَارْتَسَمَ الْحُزْنُ فِي عَيْنَيِ الْمَرْأَةِ وَهِيَ تَقُولُ:

ـ طِفْلِيَ الصَّغِيرُ مَرِيضٌ... قِيلَ لِي إِنَّكِ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَسْتَطِيعُ شِفَاءَهُ...

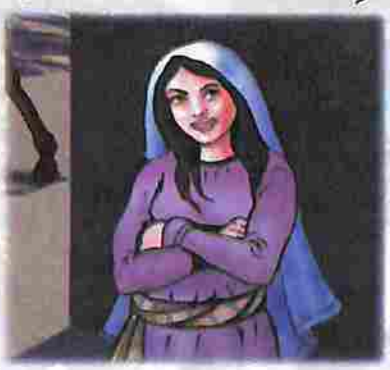

قَالَتْ لَيْلَى فِي إِيمَانٍ:

ـ الشِّفَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَا سَيِّدَتِي...

ثُمَّ اسْتَدْرَكَتْ فِي حَمَاسٍ:

ـ سَأُحْضِرُ أَعشَابِيَ الطِّبِّيَّةَ وَأَذْهَبُ مَعَكِ عَلَى الفَوْرِ. . .
وَهَرْوَلَتْ لَيْلَى إِلَى دَاخِلِ القَصْرِ، بَيْنَمَا لَاحَتْ ابْتِسَامَةٌ خَبِيثَةٌ عَلَى شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ وَهِيَ تُغَمْغِمُ قَائِلَةً:
ـ نَجَحَتْ خُطَّتِي. . .

وَاجَهَ كَبِيرُ التُّجَّارِ ضَيْفَهُ (رَغْدانَ) بِنَظْرَةٍ مِلْؤُهَا الإِصْرارُ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ لَنْ أَبِيعَ أَيَّ بَضَائِعَ مِنَ القَافِلَةِ، وَلَوْ دَفَعْتَ لِي خَمْسَةَ أَضْعَافِ ثَمَنِهَا... وَهَزَّ رَأْسَهُ فِي اسْتِنكَارٍ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ أَنتَ تُرِيدُ احْتِكَارَ الطَّعَامِ كُلِّهِ، لِيَرْتَفِعَ سِعْرُهُ بِجُنُونٍ، وَيَضْطَرَّ النَّاسُ إِلَى الشِّراءِ مِنْكَ... لاَ يَا رَغْدانُ... لَنْ أُشَارِكَ فِي هَذِهِ الْجَرِيمَةِ...

قَالَ رَغْدانُ فِي تَحَدٍّ:

ـ بَلْ سَتَبِيعُ لِي كُلَّ بَضَائِعِ القَافِلَةِ بِثَمَنِهَا فَقَطْ...

ـ مُسْتَحِيلٌ...

ـ لَنْ تَصْمُدَ أَمَامِي أَبَداً...

رَغْدانُ يَحْصُلُ عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُ...

قَالَهَا رَغْدانُ وَهُوَ يَسْتَدِيرُ، وَيَبْتَعِدُ مُسْرِعاً... فَغَمْغَمَ كَبِيرُ التُّجَّارِ فِي حُزْنٍ مَرِيرٍ:

ـ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ... الرَّجُلُ الثَّرِيُّ يُرِيدُ أَنْ تَزْدادَ أَزَمَاتُ الْمَدِينَةِ لِتَزْدادَ ثَرْوَتُهُ بَدَلاً مِنَ التَّبَرُّعِ بِجُزْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِ لإِنْقَاذِ الْمَرْضَى وَالْفُقَرَاءِ... وَفِي أَعْمَاقِهِ كَانَ يَشْعُرُ بِالْخَطَرِ... الْخَطَرِ الشَّدِيدِ...

صَعِدَتْ لَيْلَى إِلَى العَرَبَةِ الَّتِي انطَلَقَتْ مُسْرِعَةً... ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَنْظُر إِلَى الْمَرْأَةِ:

ـ مَا أَعراضُ مَرَضِ طِفْلِكِ يَا سَيِّدَتِي؟

قَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي غَيْرِ اهْتِمَامٍ:

ـ انْتَظِرِي حَتَّى نَصِلَ...

سَأَلَتْهَا لَيْلَى:

ـ أَبَعِيدٌ الْمَنْزِلُ؟

أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ فِي اقْتِضَابٍ:

ـ إِلَى حَدٍّ مَا...

وَشَعَرَتْ لَيْلَى بِالعَرَبَةِ تَهْتَزُّ بِشِدَّةٍ وَهِيَ تَقْطَعُ الطَّرِيقَ فِي سُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ، وَجَلَسَتْ صَامِتَةً حَتَّى تَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ أَمَامَ مَنْزِلٍ قَدِيمٍ مَهْجُورٍ... فَهَتَفَتْ فِي قَلَقٍ:

ـ أَهَذَا هُوَ الْمَنْزِلُ؟ لَمْ تُجِبِ الْمَرْأَةُ، بَلْ دَفَعَتْ لَيْلَى لِتَهْبِطَ وَهِيَ تَصِيحُ آمِرَةً:

ـ اِنْزِلِي... وَأَبْصَرَتْ لَيْلَى رَجُلاً ضَخماً، عَرِيضَ الصَّدْرِ، مَفْتُولَ العَضَلاتِ، أَصْلَعَ الرَّأْسِ تَمَاماً، لَهُ شَارِبٌ ضَخْمٌ، يَقْتَرِبُ مِنْهَا... وَعَرَفَتْهُ لَيْلَى عَلَى الفَوْرِ، وَسَرَتْ فِي أَوْصَالِهَا رَجْفَةُ خَوْفٍ شَدِيدٍ.

وَقَفَ الْخَادِمُ أَمَامَ كَبِيرِ التُّجَّارِ وَهُوَ يَحْمِلُ رِسَالَةً فِي يَدِهِ

. . . فَسَأَلَهُ كَبِيرُ التُّجَّارِ:

ـ مِمَّنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ؟

أَجَابَ الْخَادِمُ فِي احْتِرَام:

ـ أَمَرَنِي الزَّائِرُ الَّذِي اسْتَقْبَلْتَهُ مُنذُ قَلِيلٍ أَنْ أُسَلِّمَهَا لَكَ.

هَتَفَ كَبِيرُ التُّجَّارِ مُندَهِشاً:

ـ رَغْدانُ!!

وَتَنَاوَلَ الرِّسَالَةَ فِي لَهْفَةٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ يُفَكِّرُ:

ـ لِمَاذَا تَرَكَ الرِّسَالَةَ مَعَ الْخَادِمِ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يُخْبِرْنِي بِمُحْتَوَيَاتِهَا عِنْدَمَا كَانَ يُحَدِّثُنِي مُنذُ قَلِيلٍ؟

وَأَسْرَعَتْ عَيْنَاهُ تَلْتَهِمَانِ أَحْرُفَ الرِّسَالَةِ:

"ابْنَتُكَ لَيْلَى عِنْدَنَا. . . إِنَّهَا ضَيْفَتُنَا الْعَزِيزَةُ الْمُكَرَّمَةُ إِذَا وَافَقْتَ عَلَى الْعَرْضِ الَّذِي قَدَّمْتُهُ لَكَ. . .

أَمَّا إِذَا رَفَضْتَ فَلَنْ تَرَاهَا أَبَداً . . . "

صَاحَ كَبِيرُ التُّجَّارِ:

ـ لَا. . . لَا. . .

وَانْدَفَعَ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ يَبْحَثُ عَنِ ابْنَتِهِ. . . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ لَهَا عَلَى أَثَرٍ. . . لَقَدِ اخْتُطِفَتْ.

ـ القُرْصَانُ هَادِرٌ!!

هَتَفَتْ لَيْلَى بِالِاسْمِ الرَّهِيبِ فِي تَوَتُّرٍ...

فَقَالَ القُرْصَانُ فِي صَوْتٍ قَاسٍ:

ـ سَتَظَلِّينَ مَعَنَا ـ يَا لَيْلَى ـ هُنَا حَتَّى مَوْعِدِ إِبْحَارِ سَفِينَتِي...

ثُمَّ أَشَارَ لِلْمَرْأَةِ قَائِلاً:

ـ خُذِيهَا إِلَى غُرْفَتِهَا...

وَجَذَبَتْهَا الْمَرْأَةُ بِعِيداً...

بَيْنَمَا صَاحَ القُرْصَانُ آمِراً:

ـ أَيْنَ عَاصِمٌ؟ أَحْضِرُوهُ إِلَى هُنَا.

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ أَقْبَلَ شَابٌّ وَسِيمٌ،

مَوْفُورُ الصِّحَّةِ، وَوَقَفَ أَمَامَ القُرْصَانِ فِي تَرَدُّدٍ...

فَقَالَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ):

ـ مَرْحَباً بِكَ يَا عَاصِمٌ...

وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْلِسَ، فَامْتَثَلَ لِلأَمْرِ، ثُمَّ قَالَ:

ـ أَنْتَ تَعْرِفُ... كَانَ وَالِدُكَ مِنْ أَخْلَصِ أَعْوَانِي... وَقَدْ أَوْصَانِي أَنْ أَدَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ تَتَعَلَّمُ حَتَّى تُصْبِحَ رَجُلاً، ثُمَّ أَضُمَّكَ إِلَى أَعْوَانِي الْمُقَرَّبِينَ...

هَزَّ عَاصِمٌ رَأسَهُ مُتَفَهِّماً. . . فقَالَ القُرْصَانُ:

ـ اليَوْمَ يَبْدَأُ عَمَلُكَ الرَّسْمِيُّ مَعَنَا. . . اسْتَعِدَّ. . . فَأَنَا أَنتَظِرُ إِشَارَةً مِنْ رَجُلٍ مُهِمٍّ. . . سَنَنْطَلِقُ بَعْدَهَا عَلَى الفَوْرِ فِي عُرْضِ البَحْرِ.

قَالَ عَاصِمٌ فِي اسْتِسْلامٍ:

ـ أَنَا جَاهِزٌ. . .

وَشَرَدَ عَاصِمٌ بِبَصَرِهِ، وَغَرِقَ فِي لُجَّةٍ مِنَ الأَفْكَارِ. . . كَانَ يَعِيشُ فِي الْمَدِينَةِ وَسَطَ أَهْلِهَا الطَّيِّبِينَ، يَتَعَلَّمُ وَيَدْرُسُ حَتَّى أَتَمَّ تَعْلِيمَهُ، وَتَمَنَّى لَوِ الْتَحَقَ بِعَمَلٍ شَرِيفٍ يَخْدِمُ بِهِ مَدِينَتَهُ الَّتِي يُحِبُّهَا، وَلَكِنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ القُرْصَانَ (هَادِراً) لَنْ يَمْنَحَهُ هَذِهِ الفُرْصَةَ أَبَداً. إِنَّهُ مُجْرِمٌ، قَاسٍ، رَهِيبٌ، بِلَا قَلْبٍ؛ وَحَوْلَهُ جَيْشٌ مِنْ أَخْطَرِ اللُّصُوصِ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ. . . وَزَفَرَ عَاصِمٌ فِي اسْتِسْلامٍ، وَانْطَلَقَ يَسِيرُ فِي أَرْجَاءِ مَنْزِلِ القُرْصَانِ (هَادِرٍ) وَهُوَ يُغَمْغِمُ:

ـ الْمُشْكِلَةُ أَنَّ هَادِراً يُحِبُّنِي كَأَنَّنِي ابْنُهُ. . . فَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى تَرْبِيَتِي مُنْذُ كُنْتُ طِفْلاً، وَ. . .

ـ عَاصِم. . .

ارْتَجَفَ عَاصِمٌ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ القُرْصَانِ يُنَادِيهِ،

فَتَوَقَّفَ وَشَعَرَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ تُوضَعُ عَلَى كَتِفِهِ، وَسَمِعَ القُرْصَانَ (هَادِراً) يَقُولُ:

ـ سَأُطْلِعُكَ الآنَ عَلَى سِرٍّ خَطِيرٍ لِتَعْرِفَ كَمْ أَثِقُ بِكَ.

وَسَارا مَعاً إِلَى قَبْوِ الْمَنْزِلِ، وَأَزاحَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) عَدَداً مِنَ الصَّنادِيقِ الْخَشَبِيَّةِ، وَرَفَعَ صَخْرَةً كَبِيرَةً مِنَ الأَرْضِ لِيُبْصِرَ عَاصِمٌ فَجْوَةً تُؤَدِّي إِلَى أَسْفَلَ، وَهَبَطَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) وَتَبِعَهُ عَاصِمٌ وَهُوَ يَتَسَاءَلُ:

ـ إِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ؟

وَسَكَتَ عِنْدَمَا أَبْصَرَ أَمَامَهُ عَدَداً كَبِيراً مِنَ الصَّنادِيقِ الْخَشَبِيَّةِ الْمَفْتُوحَةِ، وَرَاحَ يُحَمْلِقُ فِي مُحْتَوَيَاتِ الصَّنادِيقِ فِي نَظَراتٍ مِلْؤُهَا الدَّهْشَةُ وَالذُّهُولُ... كَانَتِ الصَّنادِيقُ مُمْتَلِئَةً بِالذَّهَبِ وَالْجَواهِرِ وَالأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ وَالنُّقُودِ... إِنَّهُ يَقِفُ أَمَامَ كَنْزٍ... كَنْزٍ هَائِلٍ.

قَالَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ):

ـ هَذِهِ الثَّرْوَةُ جَمَعْنَاهَا طَوالَ حَيَاتِنَا... كُنْتُ أُحْضِرُ كُلَّ مَا أَنْهَبُهُ مِنَ السُّفُنِ إِلَى هُنَا، وَأَضَعُهُ فِي هَذا القَبْوِ...

إِنَّهَا ثَرْوَتِي الَّتِي سَتَؤُولُ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِي...

وَوَضَعَ القُرْصَانُ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ عَاصِمٍ وَقَالَ:

ـ لَوْ حَدَثَ لِي شَيْءٌ، فَهَذا الْكَنْزُ لَكَ... لَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَ لِنُضَاعِفَهُ... البَحْرُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَكُنُوزٌ، وَعَمَلُنَا هُوَ نَهْبُهَا وَإِحْضَارُهَا إِلَى هُنَا... أَفَهِمْتَ يَا عَاصِمُ؟

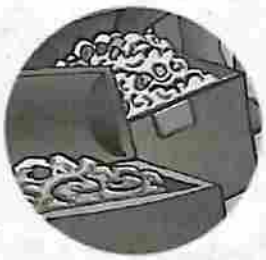

أَحْنَى عَاصِمٌ رَأْسَهُ...

فَأَشَارَ القُرْصَانُ لِأَعلَى قَائِلاً:

ـ اعْتَدْتُ قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ أَيَّةَ مَهَمَّةٍ أَنْ أَجلِسَ قَلِيلاً هُنَا مَعَ ذَهَبِي وَجَواهِرِي... دَعْنِي الآنَ يَا عَاصِمُ وَاصْعَدْ إِلَى الأَعلَى...

انسَحَبَ عَاصِمٌ صَاعِداً إِلَى الأَعلَى... بَيْنَمَا جَلَسَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) مُسْتَرخِيَاً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى كَنْزِهِ الثَّمِينِ... وَلَمْ يَشْعُرِ القُرْصَانُ بِالْخَطَرِ الَّذِي يُهَدِّدُهُ...

كَانَتْ ثَلاثَةُ ثَعَابِينَ ضَخمَةٌ تَتَحَرَّكُ خَلْفَ الصَّنادِيقِ الضَّخْمَةِ فِي هُدُوءٍ تَامٍّ، وَتَتَّجِهُ إِلَيْهِ فِي إِصْرارٍ.

سَارَ عَاصِمٌ فِي تَمَهُّلٍ وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي هَذا الْكَنْزِ الثَّمِينِ، وَرَاحَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلاً:

ـ يَا لَهَا مِنْ ثَرْوَةٍ... وَلَكِن... لَمْ يَكُنْ سَعِيداً لأَنَّ هَذِهِ الثَّرْوَةَ سَتُصْبِحُ مِلْكاً لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ...

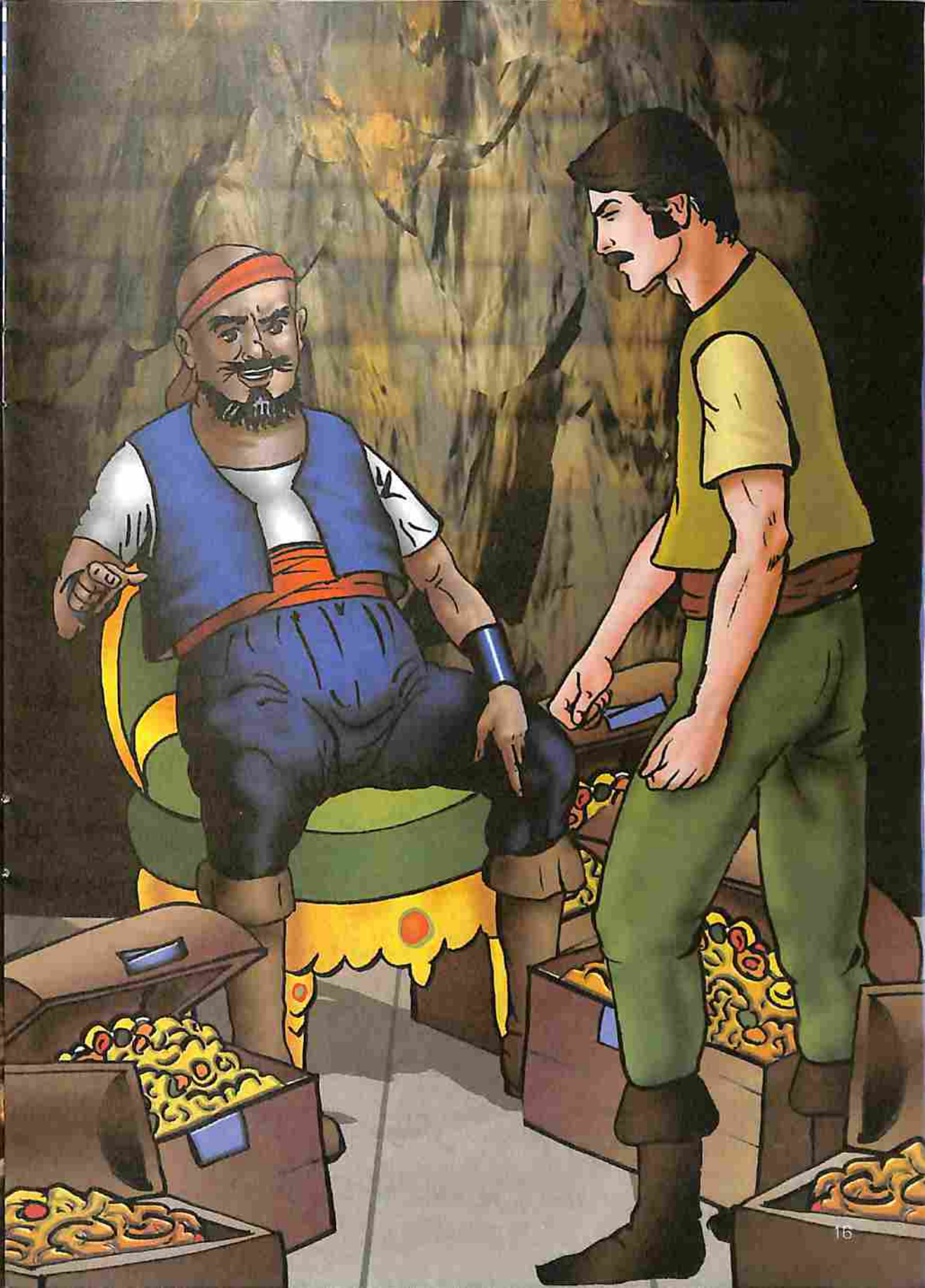

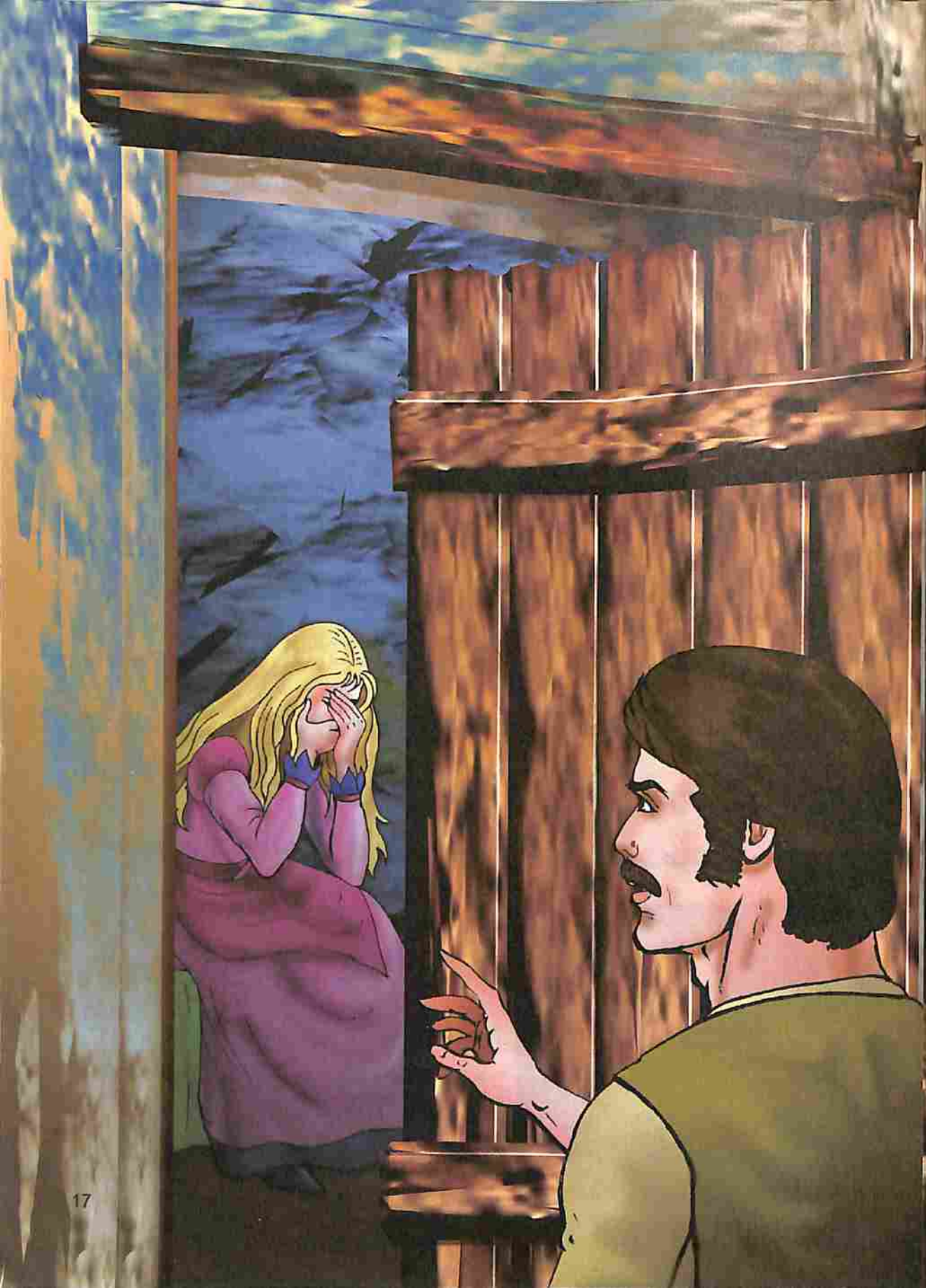

كَانَ يَتَمَنَّى لَوْ سَمَحَ لَهُ القُرْصَانُ أَنْ يَأْخُذَها الآنَ، وَيُساعِدَ بِهَا الفُقَراءَ وَالْمَرْضَى وَالْمُحتَاجِينَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَتِهِ. . .

كَانَ قَلْبُ عَاصِمٍ يَنْعَصِرُ حُزْناً وَأَلَماً عِنْدَمَا يُفَكِّرُ فِي أَنَّهُ سَيُمْسِكُ سِلاحاً يُهَدِّدُ بِهِ رُكَّابَ السُّفُنِ الآمِنِينَ، وَسَيَتَحَوَّلُ مِنْ شَابٍّ صَالِحٍ إِلَى مُجْرِمٍ خَطِيرٍ يُهَدِّدُ حَيَاةَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ. . .

وَأَفَاقَ عَاصِمٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ بُكَاءٍ وَنَحِيبٍ يَرْتَفِعُ مِنْ وَرَاءِ أَحَدِ الأَبْوابِ الْمُغْلَقَةِ، فَأَسْرَعَ إِلَى البَابِ وَفَتَحَهُ لِيُبْصِرَ لَيْلَى وَهِيَ تَبْكِي فِي حُزْنٍ وَلَوْعَةٍ، فَانْسَحَبَ دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ هِيَ، وَسَارَ فِي أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ، وَأَبْصَرَ رَجُلاً يَدْخُلُ إِحْدَى الْغُرَفِ، وَعَرَفَهُ عَلَى الفَوْرِ، إِنَّهُ رَغْدانُ، أَثَرَى رَجُلٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَسَارَ عَاصِمٌ فِي حَذَرٍ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَ رَغْدانَ يَقُولُ:

ـ أَلَيْلَى هُنَا؟

أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي اخْتَطَفَتْهَا:

ـ أَجَلْ. . .

ثُمَّ سَأَلَتْ فِي اهْتِمَامٍ:

ـ هَلْ رَضَخَ وَالِدُهَا كَبِيرُ التُّجَّارِ لِشُرُوطِكَ؟

زَفَرَ رَغْدانُ فِي ضِيقٍ قَائِلاً:

ـ لَيْسَ بَعْدُ... إِنَّهُ رَجُلٌ عَنِيدٌ.

سَأَلَتْهُ الْمَرْأَةُ:

ـ مَاذَا سَتَفْعَلُ؟

ـ لاَ بُدَّ أَنْ يَأْخُذَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) الفَتَاةَ بِسُرعَةٍ إِلَى السَّفِينَةِ، وَيَبْتَعِدَ بِهَا عَنْ مَدِينَةِ الْخَيْرِ... وَهُنَاكَ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا... يُلْقِيهَا طَعَامَاً لِلأَسْمَاكِ الْجَائِعَةِ.

هَتَفَتِ الْمَرْأَةُ غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ:

ـ أَتُرِيدُ أَن تَتَخَلَّصَ مِنْهَا، حَتَّى لَوْ رَضَخَ كَبِيرُ التُّجَّارِ لِشُرُوطِكَ...؟

ـ لَنْ يَفْعَلَ، حَتَّى إِذَا بَاعَ لِيَ القَافِلَةَ وَلَمْ يُقَدِّمَهَا لِلْفُقَرَاءِ، سَيَتَبَرَّعُ بِثَرْوَتِهِ...

إِنَّهُ رَجُلٌ عَنِيدٌ، وَلاَ بُدَّ أَنْ أَعْمَلَ لِلْخَلاصِ مِنْهُ لِتَزْدَادَ ثَرْوَتِي أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ،...

وَأُصْبِحَ أَقْوَى رَجُلٍ فِي الْمَدِينَةِ...

ـ سَأُبْلِغُ القُرْصَانَ (هَادِراً) بِأَوَامِرِكَ...

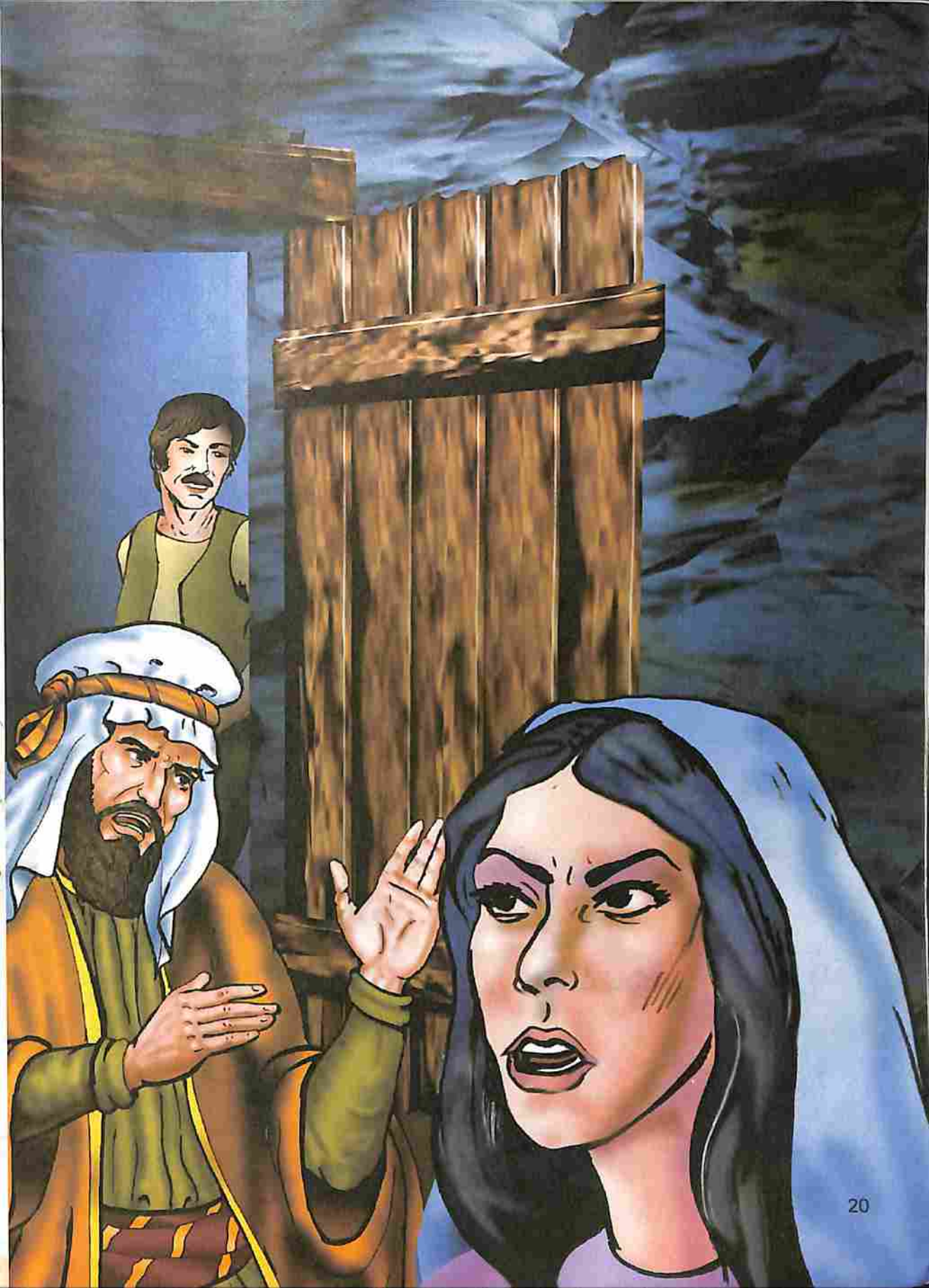

ابْتَعَدَ عَاصِمٌ فِي حَذَرٍ وَالأَفكَارُ تَعْصِفُ بِرَأسِهِ . . . لاَ، لَنْ يَحْتَمِلَ أَبَداً مَا يَحْدُثُ . . .لَنْ يُشَارِكَ فِي هَذِهِ الْجَرِيمَةِ النَّكْراءِ . . .لَنْ يَنْصُرَ الأَشْرارَ عَلَى أَهْلِ مَدِينَةِ الْخَيْرِ . . .لَنْ يَسْمَحَ لِلْقُرْصَانِ أَنْ يَقْذِفَ الْفَتَاةَ الرَّقِيقَةَ إِلَى الْبَحْرِ . . .وَلَكِنْ كَيْفَ يُنْقِذَهَا مِنْ بَيْنِ بَرَاثِنِ الْقُرْصَانِ الْجَبَّارِ؟ كَيْفَ؟

* * *

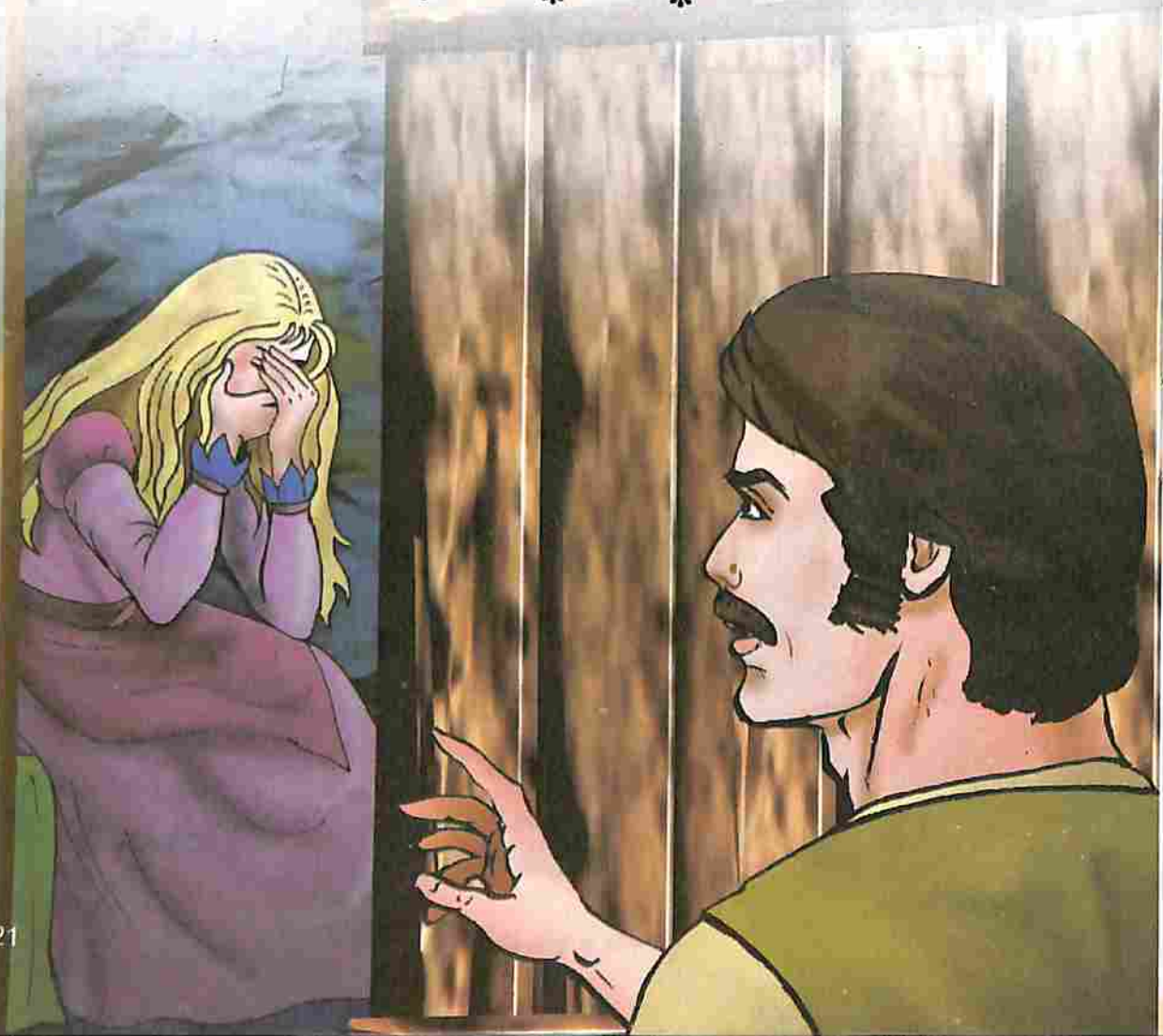

أَلْقَى كَبِيرُ التُّجَّارِ جِسْمَهُ الْمُتْعَبَ فَوْقَ أَحَدِ الْمَقَاعِدِ الْوَثِيرَةِ، وَسَأَلَ مُسَاعِدَهُ فِي لَهْفَةٍ:

ـ أَلَمْ يَعْثُرْ أَحَدٌ عَلَى ابْنَتِي؟

هَزَّ مُسَاعِدُهُ رَأْسَهُ فِي حُزْنٍ، وَغَمْغَمَ:

ـ لَيْسَ بَعْدُ...

ثُمَّ أَضَافَ لِيُطَمْئِنَهُ:

ـ وَلَكِنَّنَا نَبْحَثُ عَنْهَا فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ... سَنَجِدُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ...

أَغْمَضَ كَبِيرُ التُّجَّارِ عَيْنَيْهِ فِي حُزْنٍ وَإِرْهَاقٍ... لَقَدْ طَافَ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ دُونَ أَنْ يَجِدَ دَلِيلاً يُرْشِدُهُ إِلَى مَوْضِعِ لَيْلَى... وَأَفَاقَ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ مُسَاعِدِهِ يَسْأَلُ:

ـ مَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ؟ هَلْ سَتَبِيعُ الْقَافِلَةَ لِرَغْدَانَ؟

هَتَفَ كَبِيرُ التُّجَّارِ فِي عَزْمٍ:

ـ مُحَالٌ... وَسَكَتَ عِنْدَمَا أَبْصَرَ أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ يُقْبِلُ مُهَرْوِلاً، فَسَأَلَهُ مُتَلَهِّفاً:

ـ هَلْ ثَمَّةَ أَخْبَارٌ جَدِيدَةٌ؟

أَجَابَ الصَّدِيقُ وَهُوَ يَلْهَثُ:

- أَجَلْ... رَاقَبْتُ مَنْزِلَ رَغْدانَ لأَعْرِفَ مَا يَدُورُ فِيهِ... وَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَدْخُلُهُ الْيَوْمَ...

سَأَلَهُ كَبِيرُ التُّجَّارِ:

- مَنْ هُوَ؟

قَالَ الصَّدِيقُ بِصَوْتٍ يَفِيضُ بِالْحُزْنِ:

- إِنَّهُ حَجَّارٌ... زَعِيمُ عِصَابَةِ الأَشْرارِ، وَقَاطِعُ الطَّرِيقِ الْجَبَّارُ.

وَأَدْرَكَ كَبِيرُ التُّجَّارِ خُطَّةَ غَرِيمِهِ رَغْدانَ... لَقَدِ اسْتَعَانَ بِقَاطِعِ الطَّرِيقِ لِيَمْنَعَ الْقَافِلَةَ مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ، وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا لِنَفْسِهِ... لَقَدِ اشْتَدَّ الْخَطَرُ، وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ.

* * *

انفتحَ بَابُ الغُرْفَةِ فِي حَذَرٍ . . . وَأَبْصَرَتْ لَيْلَى شَابّاً وَسِيماً يَدْخُلُ فِي حِرْصٍ، وَيُغْلِقُ البَابَ، فَهَمَّتْ أَنْ تَصْرُخَ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَيْهَا قَائِلاً فِي رَجَاءٍ:

ـ لاَ تَخَافِي، أَنَا صَدِيقٌ . . .

نَظَرَتْ إِلَيْهِ لَيْلَى فِي قَلَقٍ، فَقَالَ:

ـ أَنَا عَاصِمٌ . . . لَقَدْ قَرَّرْتُ إِنْقَاذَكِ . . . لاَحَ الأَمَلُ فِي وَجْهِ لَيْلَى . . . فَتَقَدَّمَ مِنْهَا عَاصِمٌ وَقَصَّ عَلَيْهَا حَكَايَتَهُ مَعَ القُرْصَانِ فِي إِيجَازٍ، ثُمَّ قَالَ:

ـ لاَ بُدَّ أَنْ نَهْرُبَ قَبْلَ أَنْ يَنْقُلَكِ القُرْصَانُ إِلَى السَّفِينَةِ.

سَأَلَتْهُ لَيْلَى فِي أَمَلٍ:

ـ أَتُوجَدُ طَرِيقَةٌ لِلْهَرَبِ؟

أَجَابَ فِي حَيْرَةٍ:

ـ لَسْتُ أَدْرِي . . . لاَ أَعْرِفُ هَذَا الْمَنْزِلَ جَيِّداً . . . وَلَكِنْ يُوجَدُ هُنَا القُرْصَانُ وَالْمَرْأَةُ وَاثْنَانِ مِنَ الأَشْرَارِ يَحْرُسَانِ الْمَنْزِلَ . . . هَيَّا . . . لِنَبْحَثَ عَنْ وَسِيلَةٍ لِلْهَرَبِ . . .

وَقَبْلَ أَنْ تَتَحَرَّكَ لَيْلَى دَوَّتْ صَرْخَةُ أَلَمٍ عَالِيَةٌ . . . صَرْخَةٌ صَادِرَةٌ مِنَ الْقَبْوِ . . .

صَرْخَةٌ أَطْلَقَهَا الْقُرْصَانُ . . .

انتَفَضَتْ لَيْلَى فِي هَلَعٍ عِنْدَما صَكَّتِ الصَّرْخَةُ أُذُنَيْهَا، فَهَتَفَ عَاصِمٌ آمِراً:

ـ انْتَظِرِي هُنَا... لَا تَتَحَرَّكِي... سَأَعْرِفُ مَا حَدَثَ، وَأَعُودُ إِلَيْكِ...

وَانْطَلَقَ يَعْدُو إِلَى القَبْوِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالْقَلَقِ... وَأَبْصَرَ الشِّرِّيرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَحْرُسَانِ الْمَنْزِلَ يَسْبِقَانَهُ عَدْواً إِلَى الْقَبْوِ وَهُمَا يَتَسَاءَلَانِ عَنْ سِرِّ هَذِهِ الصَّرْخَةِ... وَنَزَلَ الْجَمِيعُ إِلَى الْقَبْوِ، وَأَبْصَرَ عَاصِمٌ القُرْصَانَ وَهُوَ مُمَدَّدٌ عَلَى الأَرْضِ يَتَلَوَّى مِنَ الأَلَمِ... فَصَاحَ فِي قَلَقٍ:

ـ مَاذَا حَدَثَ؟

هَتَفَ القُرْصَانُ فِي أَلَمٍ:

ـ ثُعْبَانٌ هَائِلٌ لَدَغَنِي...

أَخْرَجَ الشِّرِّيرَانِ سَيْفَيْهِمَا، وَاسْتَعَدَّا لِمُوَاجَهَةِ الْخَطَرِ بَيْنَمَا صَاحَ القُرْصَانُ فِي عَاصِمٍ:

ـ اصْعَدْ أَنْتَ يَا عَاصِمُ... اصْعَدْ بِسُرْعَةٍ... لَا تُعَرِّضْ حَيَاتَكَ لِلْخَطَرِ.

قَالَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ لِعَاصِمٍ فِي حُبٍّ... فَتَمَزَّقَ قَلْبُ عَاصِمٍ وَهُوَ يَقُولُ:

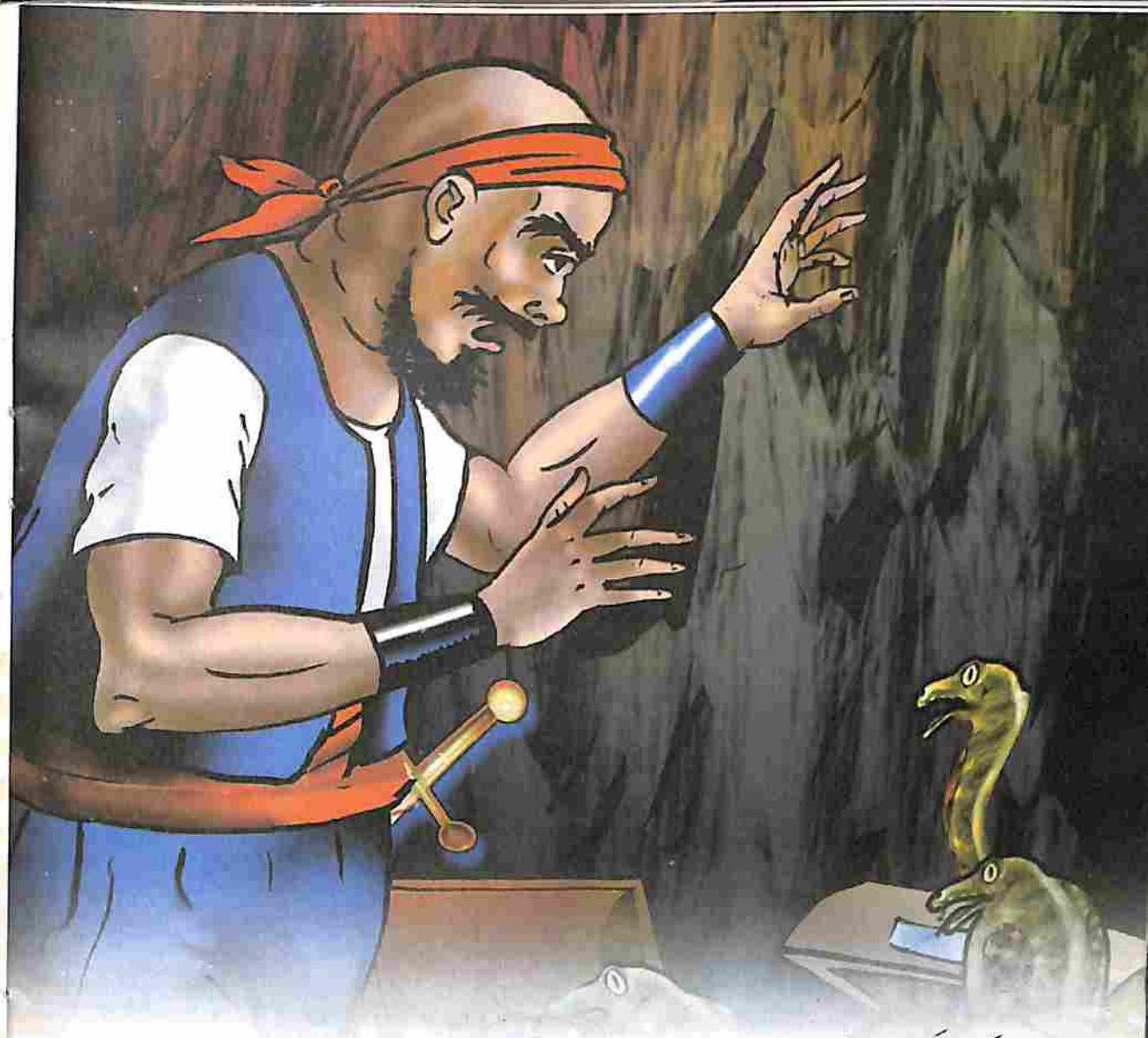

ـ لَنْ أَتـرُكَكَ تَمُوتُ هُنـا . . . لاَ بُدَّ . . .

صَرَخَ القُرْصَانُ آمِراً :

ـ ابْتَعِدْ يَا بُنَيَّ، وَدَعْنِي . . . هَيَّا . . .

امْتَثَـلَ عَاصِمٌ لِلأَمْـرِ، وَصَعِدَ الدَّرَجَ مُغَادِراً الْقَبْـوَ، بَيْـنَمَا رَاحَ الشِّـرِّيرَانُ يَبْـحَثَـانِ عَنِ الثَّعَابِيـنِ الضَّخْـمَـةِ وَفَجْأَةً ظَهَرَتِ الثَّـعَـابِيـنُ الثَّلاثَةُ، وَانقَضَّتْ بِقُوَّةٍ عَلَى الشِّـرِّيرَيْـنِ...

فَتَحَ عَاصِمٌ بَابَ غُرْفَةِ لَيْلَى وَهُوَ يَقُولُ فِي صَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ:

ـ هَيَّا بِنَا يَا لَيْلَى... إِنَّهَا فُرْصَتُنَا...

أَبْصَرَتْ لَيْلَى دُمُوعَهُ تَتَرَقْرَقُ فِي عَيْنَيْهِ، فَصَاحَتْ:

ـ مَاذَا حَدَثَ؟

قَالَ وَهُوَ يُغَالِبُ دُمُوعَهُ:

ـ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) يَمُوتُ... لَدَغَهُ ثُعْبَانٌ ضَخْمٌ عِدَّةَ لَدْغَاتٍ قَاتِلَةً، وَالشِّرِّيرَانِ يَبْحَثَانِ عَنِ الثُّعْبَانِ فِي الْقَبْوِ الآنَ.

هَتَفَتْ لَيْلَى مُسْتَنْكِرَةً:

ـ أَتُحِبُّ القُرْصَانَ الْجَبَّارَ؟ أَتَبْكِي مِنْ أَجْلِهِ؟

أَطْرَقَ عَاصِمٌ فِي حُزْنٍ قَائِلاً:

ـ إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي عَطَفَ عَلَيَّ، وَتَوَلَّى تَرْبِيَتِي. لَقَدْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَبِي... لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْكِرَ أَنِّي أُحِبُّهُ... وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَعْمَالَهُ الشِّرِّيرَةَ.

اِلْتَقَطَتْ لَيْلَى حَقِيبَتَهَا قَائِلَةً:

ـ لِنُحَاوِلْ إِنْقَاذَهُ أَوَّلاً.

هَزَّ عَاصِمٌ رَأْسَهُ فِي يَأْسٍ قَائِلاً:

ـ كَيْفَ؟ سَيَسْتَغْرِقُ إِحْضَارُ الطَّبِيبِ وَقْتاً طَوِيلاً وَ...

قَاطَعَتْهُ لَيْلَى قَائِلَةً فِي ثِقَةٍ:

ـ أَنَا أَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. . .

وَاندَفَعَتْ تَعْدُو فِي إِصْرَارٍ إِلَى الْقَبْوِ، وَخَلْفَهَا عَاصِمٌ.

انقَضَّتِ الثَّعَابِينُ الضَّخْمَةُ عَلَى الشِّرِّيرَيْنِ، وَرَاحَتْ تَلْدَغُهُمَا. . .

وَدَارَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ فِي ضَرَاوَةٍ. . .

وَاسْتَطَاعَ الشِّرِّيرَانُ أَنْ يَقْتُلا الثَّعَابِينَ الثَّلاثَةَ الضَّخْمَةَ بِسَيْفَيْهِمَا الْقَوِيَّيْنِ، ثُمَّ ارْتَمَيَا عَلَى الأَرْضِ وَهُمَا يَتَلَوَّيَانِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ. . . وَهَتَفَ الْقُرْصَانُ (هَادِرٌ) فِي إِعْيَاءٍ:

ـ إِنَّنَا نَمُوتُ. . .

ثُمَّ أَضَافَ فِي حُزْنٍ وَأَسىً:

ـ لَمْ أَتَصَوَّرْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِهَايَتِي أَبَداً. . . وَظَهَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَنْزِلُ الدَّرَجَ،

وَنَظَرَتْ إِلَى الرِّجَالِ الثَّلاثَةِ. . .

وَهَتَفَ أَحَدُ الشِّرِّيرَيْنِ:

ـ افْعَلِي شَيْئاً. . . أَنْقِذِينَا. . .

قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَعَيْنَاهَا تَلْتَمِعَانِ فِي شَرٍّ:

ـ سَأَفْعَلُ أَهَمَّ شَيْءٍ . . . سَأَتـرُكُكُمْ هُنـا لِلْمَـوْتِ، وَآخُذُ هَذِهِ الصَّنـادِيقَ الْمُمْتَلِئَةَ بِالذَّهَبِ، وَأَهْرُبُ بِالْكَنْزِ . . .

صَرَخَ القُرْصَانُ:

ـ لَا . . . لَا . . . لَنْ يَحْدُثَ هَذَا أَبَداً . . .

قَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي شَرٍّ:

ـ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَنْعِي . . . أَنْتَ مُصَابٌ، تَكَادُ تَمُوتُ . . .

هَتَفَ الشِّرِّيرُ الثَّانِي:

ـ لَقَدْ كُنْتِ زَوْجَةَ أَحَدِ زُمَلائِنَا الْمُخلِصِينَ . . . لَا تَتْرُكِينَا . . . تَذَكَّرِي أَنَّ القُرْصَانَ (هَادِراً) لَمْ يَتَخَلَّ عَنْكِ بَعْدَ مَصْرَعِ زَوْجِكِ . . .

ضَحِكَتِ الْمَرْأَةُ قَائِلَةً:

ـ لَا تَنْتَظِرْ مِمَّنْ يُسَاعِدُ الأَشْرارَ أَنْ يَكُونَ مُخْلِصاً . . .

وَأَمْسَكَتْ سَيْفاً وَهِيَ تَقُولُ فِي إِصْرارٍ:

ـ سَأُجْهِزُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ أَهْرُبُ بِالْكَنْزِ . . .

وَرَفَعَتِ السَّيْفَ، وَهَمَّتْ أَنْ تَهْوِيَ بِهِ فَوْقَ رَأْسِ القُرْصَانِ (هَادِرٍ)، عِنْدَمَا قَفَزَ عَاصِمٌ وَأَمْسَكَ يَدَهَا وَأَطَاحَ بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ ابْتَعِدِي أَيَّتُهَا الشِّرِّيرَةُ . . .

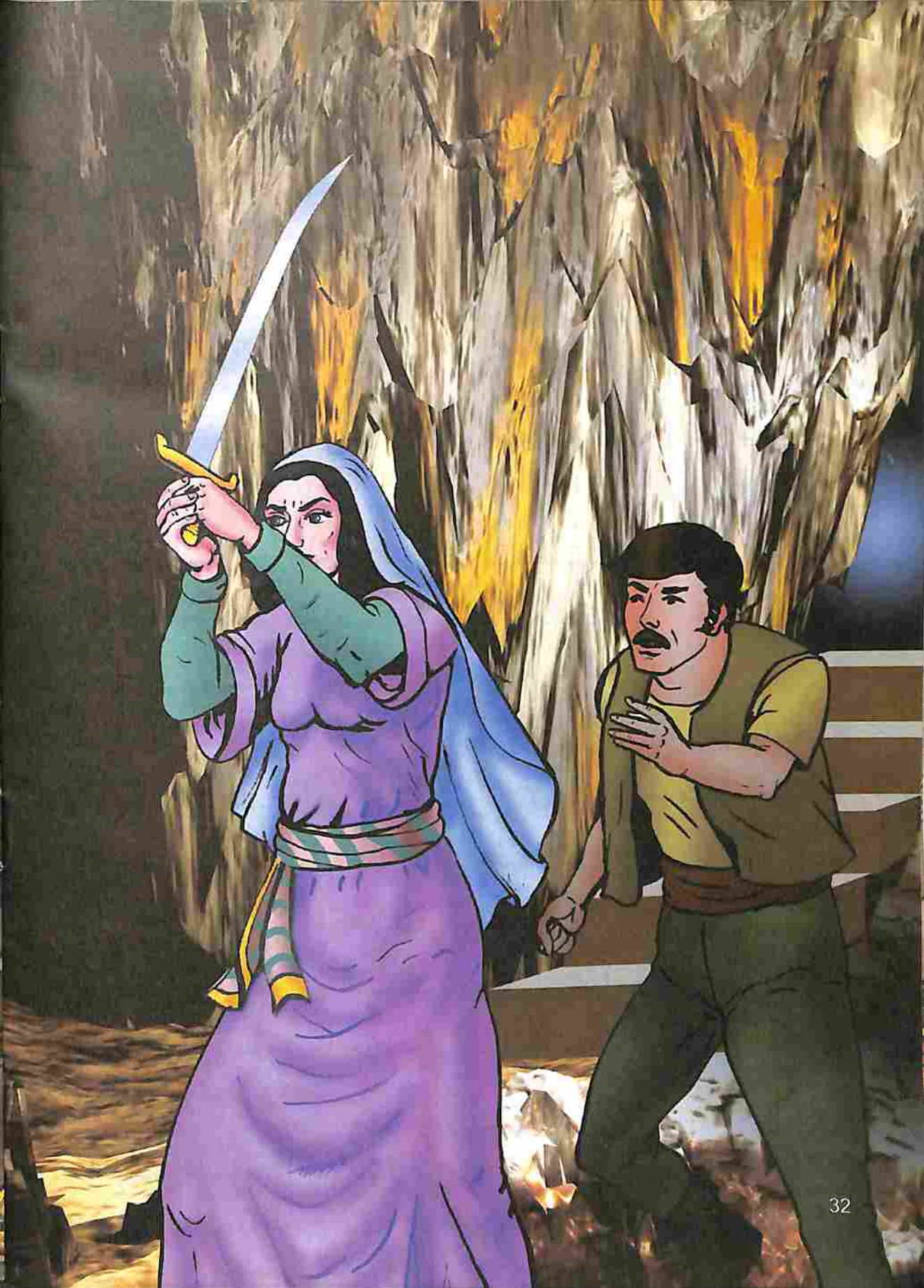

صَاحَ القُرْصَانُ فِي أَمَلٍ:

ـ عَاصِمٌ... نَظَرَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَاصِمٍ فِي خَوْفٍ ثُمَّ أَسْرَعَتْ تَفِرُّ هَارِبَةً... وَأَقْبَلَتْ لَيْلَى، فَقَالَ القُرْصَانُ:

ـ خُذِ الْكَنْزَ وَارْحَلْ يَا عَاصِمٌ... هَيَّا، لَمْ تَعُدْ ثَمَّةَ فَائِدَةٌ، لَقَدْ هَلَكْتُ...

انْحَنَتْ لَيْلَى لِتَفْحَصَ جُرُوحَ القُرْصَانِ وَهِيَ تَقُولُ:

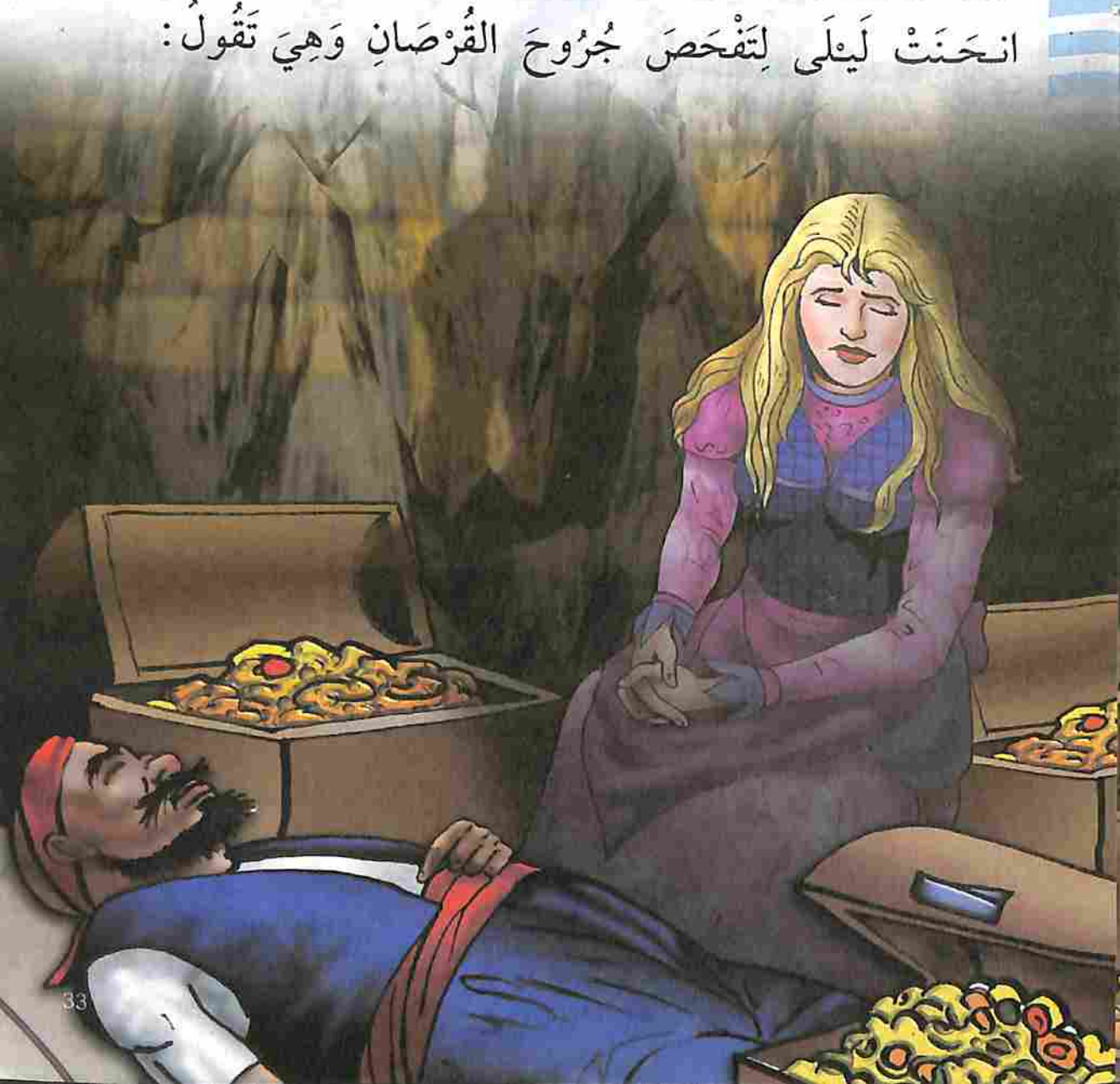

- لَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . . . ثُمَّ أَرْدَفَتْ فِي ثِقَةٍ :
- سَأُعَالِجُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . . . مَعِي أَعْشَابٌ مُفِيدَةٌ، سَتَمْنَعُ زَحْفَ السُّمُومَ فِي جِسْمِكَ، وَسَتُخَلِّصُكَ مِنْ هَذِهِ الآلَامِ . . .

وَانْهَمَكَتْ فِي عَمَلِهَا، بَيْنَمَا الْقُرْصَانُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي دَهْشَةٍ وَتَعَجُّبٍ . . . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُنْقِذَهُ الْفَتَاةُ الَّتِي اخْتَطَفَهَا وَخَطَّطَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهَا؟ وَرَاحَ يُرَاقِبُهَا وَهِيَ تَعْمَلُ فِي حَمَاسٍ لِإِنْقَاذِهِ، وَيُفَكِّرُ فِي حَيْرَةٍ . . . إِنَّهَا تَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لَهَا أَنْ تَهْرُبَ إِذَا اسْتَعَادَ قُوَّتَهُ، فَكَيْفَ تُنْقِذُهُ؟ وَكَأَنَّمَا قَرَأَتْ لَيْلَى أَفْكَارَهُ، فَقَدْ قَالَتْ :

- لَا تَنْدَهِشْ يَا سَيِّدِي، قَدْ تَكُونُ مُجْرِمًا أَوْ شِرِّيرًا . . . وَلَكِنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ كَإِنْسَانٍ . . . أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَهْرُبَ وَأَتْرُكَ مُصَابًا يُمْكِنُنِي إِنْقَاذُ حَيَاتِهِ . . .

قَالَ عَاصِمٌ فِي حَمَاسٍ :

- إِنَّهُ نَفْسُ تَفْكِيرِ وَالِدِهَا كَبِيرِ التُّجَّارِ . . . أَرَادَ أَنْ يَهَبَ بَضَائِعَ الْقَافِلَةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ لِيُنْقِذَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ . . . وَلَكِنَّ رَغْدَانَ الْجَشِعَ يُرِيدُ أَنْ تَزْدَادَ ثَرْوَتُهُ عَلَى حِسَابِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ . . .

وَأَطْرَقَ الْقُرْصَانُ (هَادِرٌ) مُفَكِّراً... وَسَادَ صَمْتٌ رَهِيبٌ... انتَهَتْ لَيْلَى مِنْ عِلاَجِ الرِّجَالِ الثَّلاَثَةِ، ثُمَّ سَأَلَتِ الْقُرْصَانَ:

ـ كَيْفَ حَالُكَ الآنَ؟

أَجَابَ القُرْصَانُ:

ـ أَنَا بِخَيْرٍ... صِرْتُ أَفْضَلَ حَالاً... أَشْعُرُ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقِفَ وَأَتَحَرَّكَ...

هَتَفَتْ لَيْلَى:

ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ...

سَأَلَهَا القُرْصَانُ:

ـ مَاذَا تَتَوَقَّعِينَ أَنْ أَفْعَلَ الآنَ؟

أَتَظُنِّينَ أَنَّنِي سَأَسْمَحُ لَكِ بِأَنْ تُغَادِرِي هَذَا الْمَنْزِلَ؟

قَالَت لَيْلَى فِي شَجَاعَةٍ:

ـ لَقَدْ كُنْتَ مَرِيضاً تُوشِكُ أَنْ تَمُوتَ... وَيُوجَدُ الآنَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ وَأَطْفَالٌ يُوشِكُونَ أَنْ يَمُوتُوا جُوعاً، لاَ يَجِدُونَ أَيَّ طَعَامٍ أَوْ دَوَاءٍ... أَتُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَهُمْ يَمُوتُونَ أَمْ تَسْعَى لإِنْقَاذِهِمْ؟ إِنِّي أَتْرُكُكَ لِضَمِيرِكَ...

غَمْغَمَ القُرْصَانُ مُنْدَهِشاً:

- ضَمِيرِي! وَسَرَى شُعُورٌ غَامِضٌ بَيْنَ جَنَبَاتِهِ... شُعُورٌ لَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ... وَقَالَ فِي حَيْرَةٍ:

- أَتَتَوَقَّعِينَ مِنْ رَجُلٍ جَبَّارٍ مِثْلِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ ضَمِيرٌ؟ إِنِّي لَمْ أَعْرِفْ فِي حَيَاتِي إِلَّا السَّرِقَةَ وَالنَّهْبَ...

قَالَتْ لَيْلَى فِي حَمَاسٍ:

- وَلَكِنَّكَ إِنْسَانٌ تَمْتَلِكُ مَشَاعِرَ الْحُبِّ وَالصِّدْقِ وَالإِخْلاصِ... ارْفَعِ الْغَمَامَةَ عَنْ عَيْنَيْكَ لِتُبْصِرَ الْحَقَّ... أَمَامَكَ فُرْصَةٌ لِمُسَاعَدَةِ أَهْلِ مَدِينَتِكَ لِتُكَفِّرَ عَنْ كُلِّ جَرَائِمِكَ..

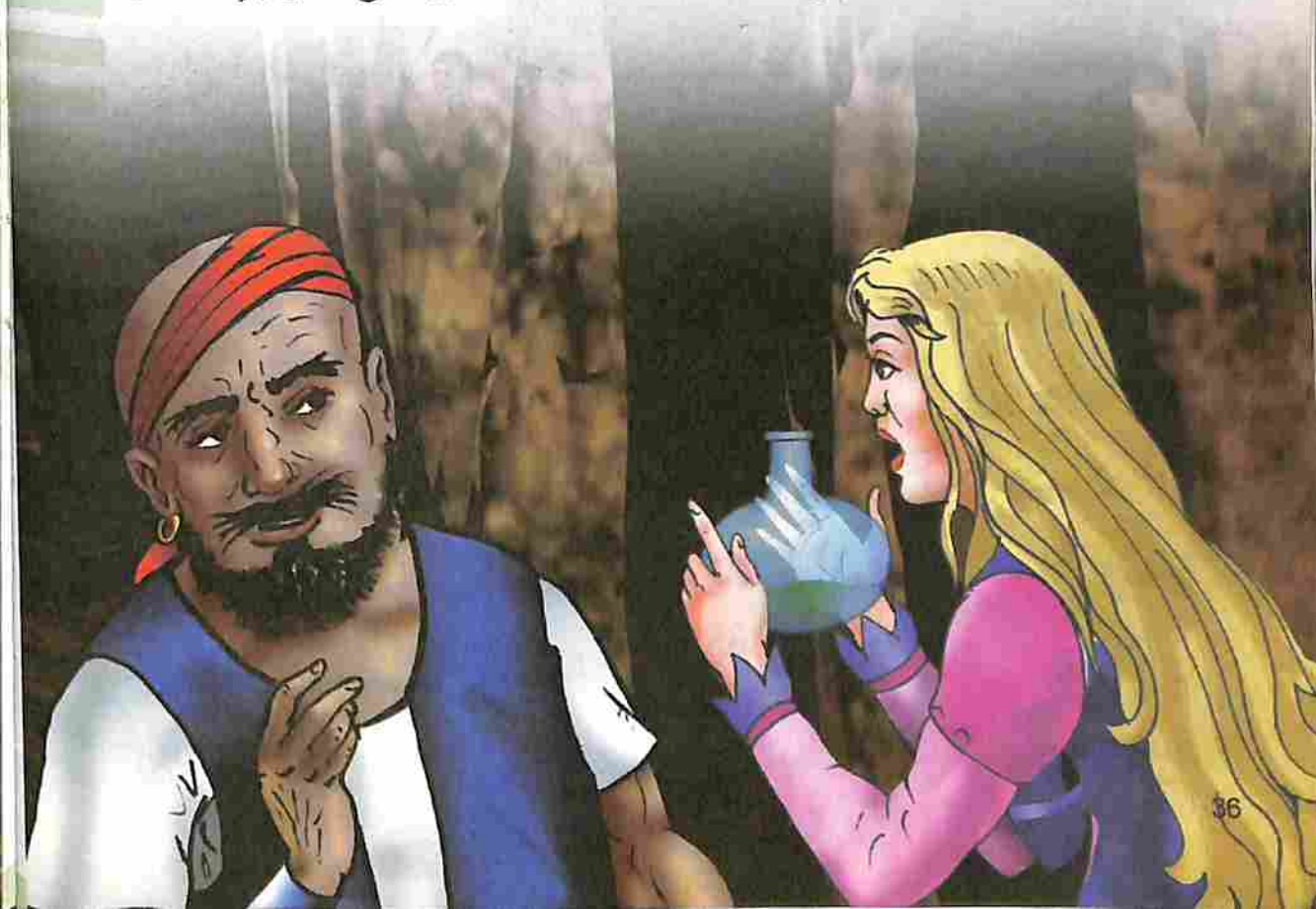

وَأَطْرَقَ القُرْصَانُ مُفَكِّراً . . . وَذَلِكَ الشُّعُورُ الْجَدِيدُ يَزْدَادُ . . ثُمَّ هَتَفَ فِي حَسْمٍ :

- سَأُعِيدُكِ إِلَى وَالِدِكِ كَبِيرِ التُّجَّارِ . . . وَهَلَّلَ عَاصِمٌ وَلَيْلَى فِي سَعَادَةٍ بَالِغَةٍ . . . وَأَشَارَ القُرْصَانُ إِلَيْهِمْ قَائِلاً :

- هَيَّا بِنَا . . . وَنَظَرَ إِلَى أَعْلَى ، لِيُبْصِرَ الْفَجْوَةَ قَدْ أُغْلِقَتْ ، وَسَمِعَ صَوْتَ الْمَرْأَةِ الشِّرِّيرَةِ وَهِيَ تَقُولُ :

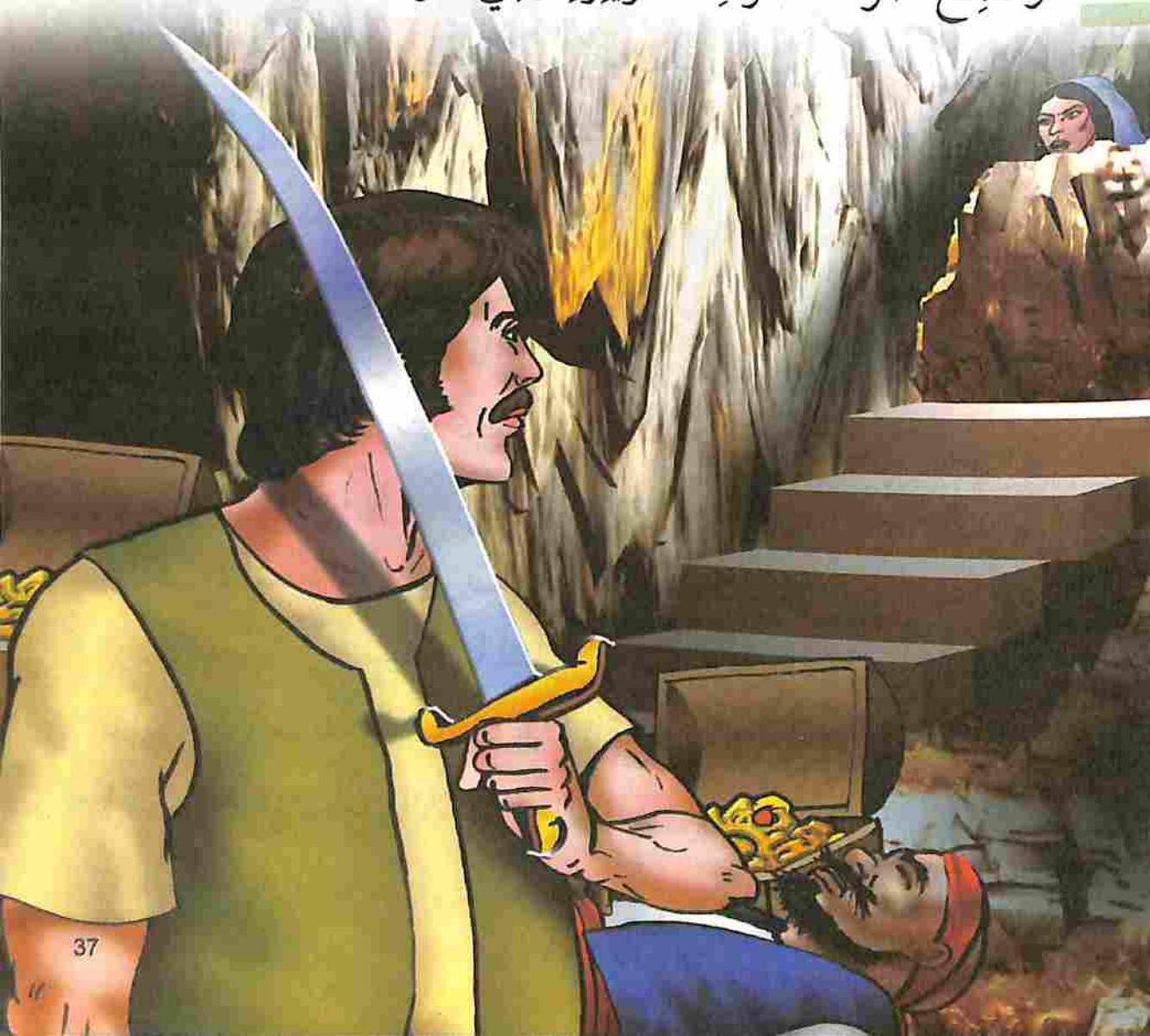

- لَقَدْ أَغْلَقْتُ بَابَ الْفَجْوَةِ، وَوَضَعْتُ فَوْقَهُ صُخُوراً ضَخْمَةً. . . لَنْ تُغَادِرُوا أَبَداً. . . سَأَتْرُكُكُمْ هُنَا تَمُوتُونَ جُوعاً ثُمَّ آخُذُ الْكَنْزَ. . .

وَتَرَدَّدَتْ ضِحْكَاتُهَا الشِّرِّيرَةُ فِي أَرْجَاءِ الْقَبْوِ. . .

اِغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا لَيْلَى بِالدُّمُوعِ. . . بَيْنَمَا صَاحَ عَاصِمٌ:

- سَنَهْلِكُ فِي هَذَا الْقَبْوِ. . .

نَظَرَ الْقُرْصَانُ إِلَى لَيْلَى وَهُوَ يَقُولُ فِي حُنُوٍّ:

- لَا تَقْلَقِي يَا ابْنَتِي. . . اِطْمَئِنِّي. . نَظَرَتْ إِلَيْهِ مُنْدَهِشَةً، وَغَمْغَمَتْ:

- هَلْ قُلْتَ ابْنَتِي؟ هَلْ. . . ؟

أَوْمَأَ الْقُرْصَانُ بِرَأْسِهِ قَائِلاً:

- أَشْعُرُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ كَثِيراً. . . لَقَدْ قَارَنْتُ مَا فَعَلْتِهِ أَنْتِ مَعَ كُلِّ أَعْمَالِي الشِّرِّيرَةِ، فَاحْتَقَرْتُ نَفْسِي. . . وَلَكِنِّي أَشْعُرُ أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ حَانَتْ لِأُكَفِّرَ عَنْ أَخْطَائِي . . . أَنْتِ فَتَاةٌ نَبِيلَةٌ يَا لَيْلَى. . سَأَلَهُ عَاصِمٌ فِي اهْتِمَامٍ:

- أَتُوجَدُ وَسِيلَةٌ لِمُغَادَرَةِ هَذَا الْقَبْوِ؟

ابْتَسَمَ الْقُرْصَانُ قَائِلاً:

- بِالتَّأْكِيدِ. . .

وَأَشَارَ إِلَى أَحَدِ الْجُدْرَانِ قَائِلاً:

ـ يُوجَدُ بَابٌ هُنَا... وَلَكِنْ، انْتَظِرُوا... لاَ أُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ أَنَّ لَيْلَى سَتَعُودُ إِلَى وَالِدِهَا كَبِيرِ التُّجَّارِ... لاَ بُدَّ أَنْ نَصِلَ إِلَيْهِ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ... وَفَتَحَ الْقُرْصَانُ الْبَابَ السِّرِّيَ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ قَائِلاً:

ـ هَيَّا بِنَا...

اِحْتَضَنَ كَبِيرُ التُّجَّارِ ابْنَتَهُ لَيْلَى فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ وَهُوَ يُغَمْغِمُ:

ـ لَيْلَى... لَيْلَى... الْحَمْدُ لِلَّهِ... الْحَمْدُ لِلَّهِ...

وَنَظَرَ إِلَى الْقُرْصَانِ (هَادِرٍ) فِي ذُهُولٍ تَامٍّ...

فَقَالَ الْقُرْصَانُ:

ـ ابْنَتُكَ النَّبِيلَةُ أَنْقَذَتْنِي... لَمْ تُنْقِذْ حَيَاتِي فَحَسْبُ، بَلْ أَنْقَذَتْ رُوحِي، وَأَيْقَظَتْ ضَمِيرِي... نَظَرَ كَبِيرُ التُّجَّارِ إِلَى لَيْلَى فِي فَخْرٍ... بَيْنَمَا سَأَلَ عَاصِمٌ:

ـ مَتَى تَصِلُ الْقَافِلَةُ؟

تَجَهَّمَ وَجْهُ كَبِيرِ التُّجَّارِ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ اتَّفَقَ رَغْدانُ مَعَ قَاطِعِ الطَّرِيقِ (حَجَّارٍ) عَلَى مُهَاجَمَةِ الْقَافِلَةِ... وَهُمَا شِرِّيرَانِ، وَكِلاهُمَا بِلاَ قَلْبٍ، وَ...

قَالَ القُرْصَانُ فِي تَحَدٍّ:

- لَا تَقْلَقْ، سَأَجْمَعُ أَعْوانِي وَنَتَصَدَّى لِحَجَّارٍ وَرِجَالِهِ الأَشْرَارِ...

الْتَمَعَتْ عَيْنَا لَيْلَى وَهِيَ تَقُولُ لِلْقُرصَانِ (هَادِرٍ):

- أَتَعْرِفُ حَجَّاراً؟

أَحْنَى القُرْصَانُ (هَادِرٌ) رَأْسَهُ إِيجَاباً، فَقَالَتْ:

- عِنْدِي خُطَّةٌ... سَأَلَهَا عَاصِمٌ مُتَلَهِّفاً:

- مَا هِيَ؟

قَالَتْ لَيْلَى:

- مَعِي بَعْضُ الأَعْشَابِ... إِذَا تَمَكَّنَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) مِنْ وَضْعِهَا فِي طَعَامِ حَجَّارٍ وَرِجَالِهِ سَيَنَامُونَ يَوْمَاً كَامِلاً...

سَأَلَ كَبِيرُ التُّجَّارِ القُرْصَانَ:

- أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا؟ قَالَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) فِي ثِقَةٍ:

- بِالتَّأْكِيدِ... حَجَّارٌ صَدِيقٌ قَدِيمٌ، وَقَدْ تَعَاوَنَّا مَعَاً فِي عَمَلِيَّاتٍ كَثِيرَةٍ.. وَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ لَيْلَى الأَعْشَابَ... وَانْطَلَقَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) لِيُؤَدِّيَ أَوَّلَ مُهِمَّةِ خَيْرٍ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا...

نَفَّذَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) مَهَمَّتَهُ بِنَجَاحٍ تَامٍّ. . . دَسَّ الأَعْشَابَ الْمُنَوِّمَةَ فِي طَعَامِ حَجَّارٍ وَرِجَالِهِ الأَشْرَارِ، فَاسْتَغْرَقُوا جَمِيعَاً فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ. . .

ثُمَّ تَسَلَّلَ عَاصِمٌ إِلَيْهِ، وَتَعَاوَنَ مَعَهُ فِي شَدِّ وَثَاقِ قُطَّاعِ الطُّرُقِ. . . وَجَمَعَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) كُلَّ رِجَالِهِ وَأَعْوَانِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى كَبِيرِ التُّجَّارِ،

وَقَالَ لَهُ:

ـ لَقَدْ جَمَعْتُ أَعْوانِي. . . وَسَنَذْهَبُ لِاسْتِقْبَالِ الْقَافِلَةَ، وَتَأْمِينِ وُصُولِهَا سَالِمَةً إِلَى الْمَدِينَةِ.

تَرَدَّدَ كَبِيرُ التُّجَّارِ، وَنَظَرَ إِلَى القُرْصَانِ فِي تَوَجُّسٍ. . .

قَالَ القُرْصَانُ فِي حَرَارَةٍ:

ـ أَنَا لَمْ أَعُدْ شِرِّيراً. . . ثِقْ بِي. . .

قَالَتْ لَيْلَى فِي ثِقَةٍ:

ـ أَبِي. . . لَقَدْ تَغَيَّرَ القُرْصَانُ، وَسَيَحْمِي هُوَ وَرِجَالُهُ الْقَافِلَةَ.

قَالَ كَبِيرُ التُّجَّارِ:

ـ انْطَلِقْ فِي حِفْظِ اللَّهِ. . .

قَالَ القُرْصَانُ:

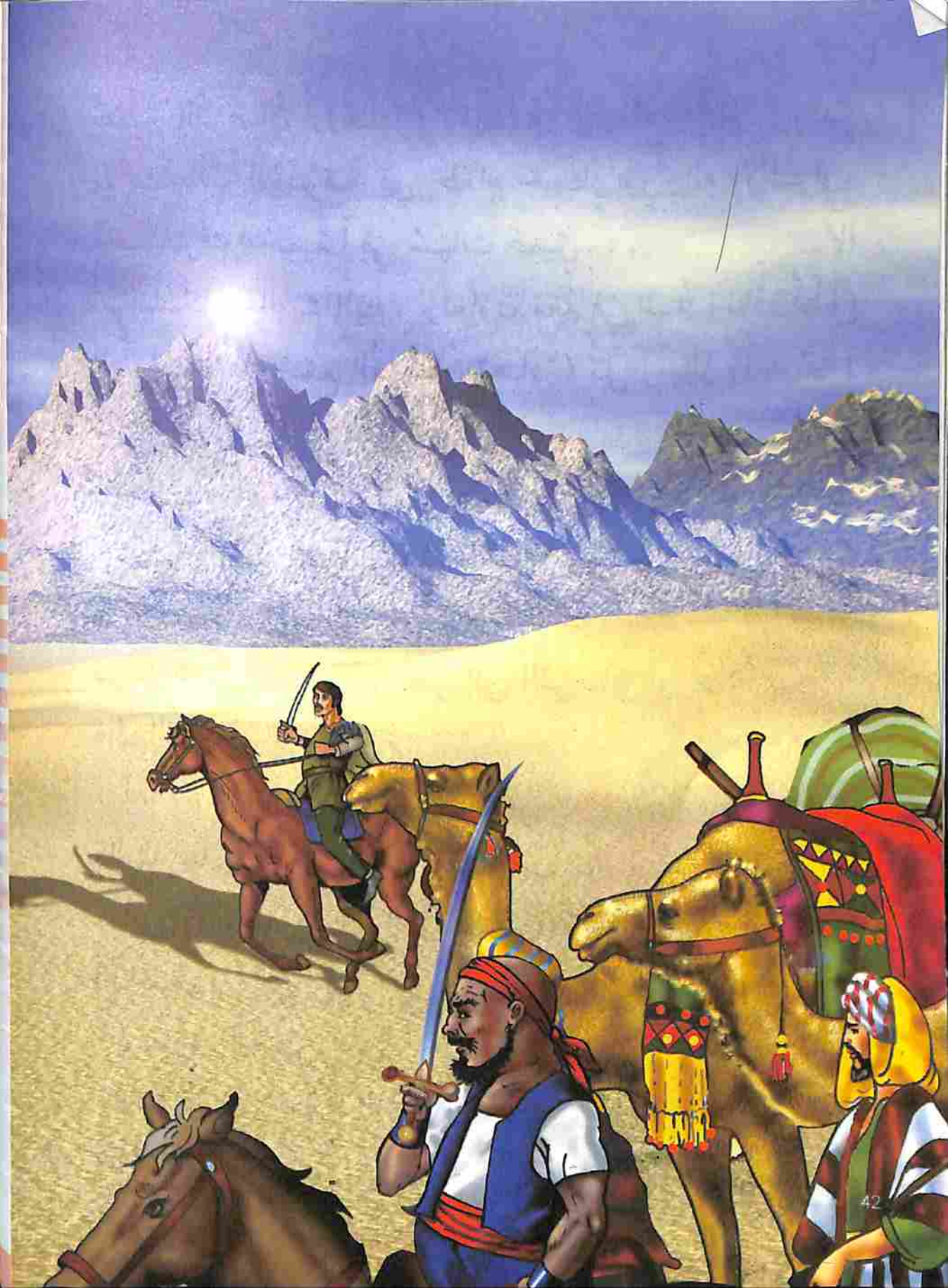

ـ أَبْلِغِ الْجُنُودَ لِيَقْبِضُوا عَلَى حَجَّارٍ وَرِجَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِهِمْ . . .

وَانْطَلَقَ القُرْصَانُ وَعَاصِمٌ وَخَلْفَهُمَا الرِّجَالُ لِحِمَايَةِ الْقَافِلَةِ . . . وَانْتَظَرَ كَبِيرُ التُّجَّارِ وَابْنَتُهُ وُصُولَ الْجَمِيعِ فِي لَهْفَةٍ شَدِيدَةٍ . . .

* * *

وَصَلَتِ الْقَافِلَةُ الْكَبِيرَةُ مَدِينَةَ الْخَيْرِ، وَدَخَلَتْ فِي حِرَاسَةِ القُرْصَانِ وَأَعْوَانِهِ . . . وَأَقْبَلَ كَبِيرُ التُّجَّارِ، وَرَاحَ يَشْرَحُ لِلنَّاسِ مَا فَعَلَهُ القُرْصَانُ لِحِمَايَةِ الْقَافِلَةِ، ثُمَّ رَاحَ يُوَزِّعُ الطَّعَامَ عَلَى الْفُقَرَاءِ . . .

وَبَيْنَمَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يَحْصُلُ عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَلابِسِ وَالدَّوَاءِ، انْسَحَبَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) وَأَعْوَانُهُ، وَلَحِقَ بِهِمْ عَاصِمٌ، وَسَأَلَ القُرْصَانَ:

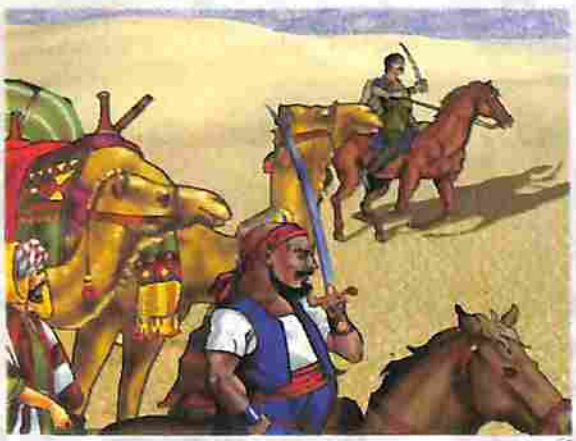

ـ إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ القُرْصَانُ:

ـ عِنْدِي مُهِمَّةٌ أَخِيرَةٌ . . .

وَانْطَلَقَ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ . . .

وَقَفَ رَغْدَانُ يُرَاقِبُ الْفُقَرَاءَ وَهُمْ يَحصُلُونَ عَلَى الطَّعَامِ، وَالسَّعَادَةُ تَغمُرُ وُجُوهَهُمُ الشَّاحِبَةَ، وَهُوَ يُكَادُ يَتَفَجَّرُ غَيْظاً، ثُمَّ سَارَ مُبْتَعِداً وَهُوَ يَقُولُ:

ـ لَمْ يَعُدْ لِي مَكَانٌ هُنَا فِي مَدِينَةِ الْخَيْرِ.

وَقَرَّرَ أَنْ يُغَادِرَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْفَوْرِ... وَبَيْنَمَا كَبِيرُ التُّجَّارِ وَلَيْلَى يُوَزِّعَانِ الطَّعَامَ وَالدَّوَاءَ وَالْمَلابِسَ عَلَى الفُقَرَاءِ، أَقْبَلَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) وَأَعْوَانُهُ وَهُمْ يَحْمِلُونَ صَنَادِيقَ الذَّهَبِ وَالنُّقُودِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ... وَوَقَفَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) يَقُولُ:

ـ هَذِهِ هِيَ النُّقُودُ الَّتِي سَرَقْتُهَا ... هَذِهِ هِيَ كُلُّ الأَمْوَالِ وَالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ الَّتِي جَمَعْتُهَا مِنَ السَّرِقَةِ وَالنَّهْبِ... خُذُوهَا جَمِيعاً لِتَبْنُوا الْبُيُوتَ الَّتِي هَدَمَتْهَا السُّيُولُ، وَتُعِيدُوا بِنَاءَ مَدِينَةَ الْخَيْرِ... إِنِّي أُشْهِدُكُمْ جَمِيعاً أَنِّي قَدْ تُبْتُ إِلَى اللَّهِ أَنَا وَأَعْوَانِي... إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أُسْجَنَ فَأَنَا رَهْنُ إِشَارَتِكُمْ، وَإِنْ عَفَوْتُمْ عَنِّي فَسَنُسَاعِدُكُمْ فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةَ، وَسَنَعْمَلُ بِلاَ أَجْرٍ لِنُكَفِّرَ عَنْ جَرَائِمِنَا... وَتَعَالَتِ الأَصْوَاتُ:

ـ سُبْحَانَ اللَّهِ...

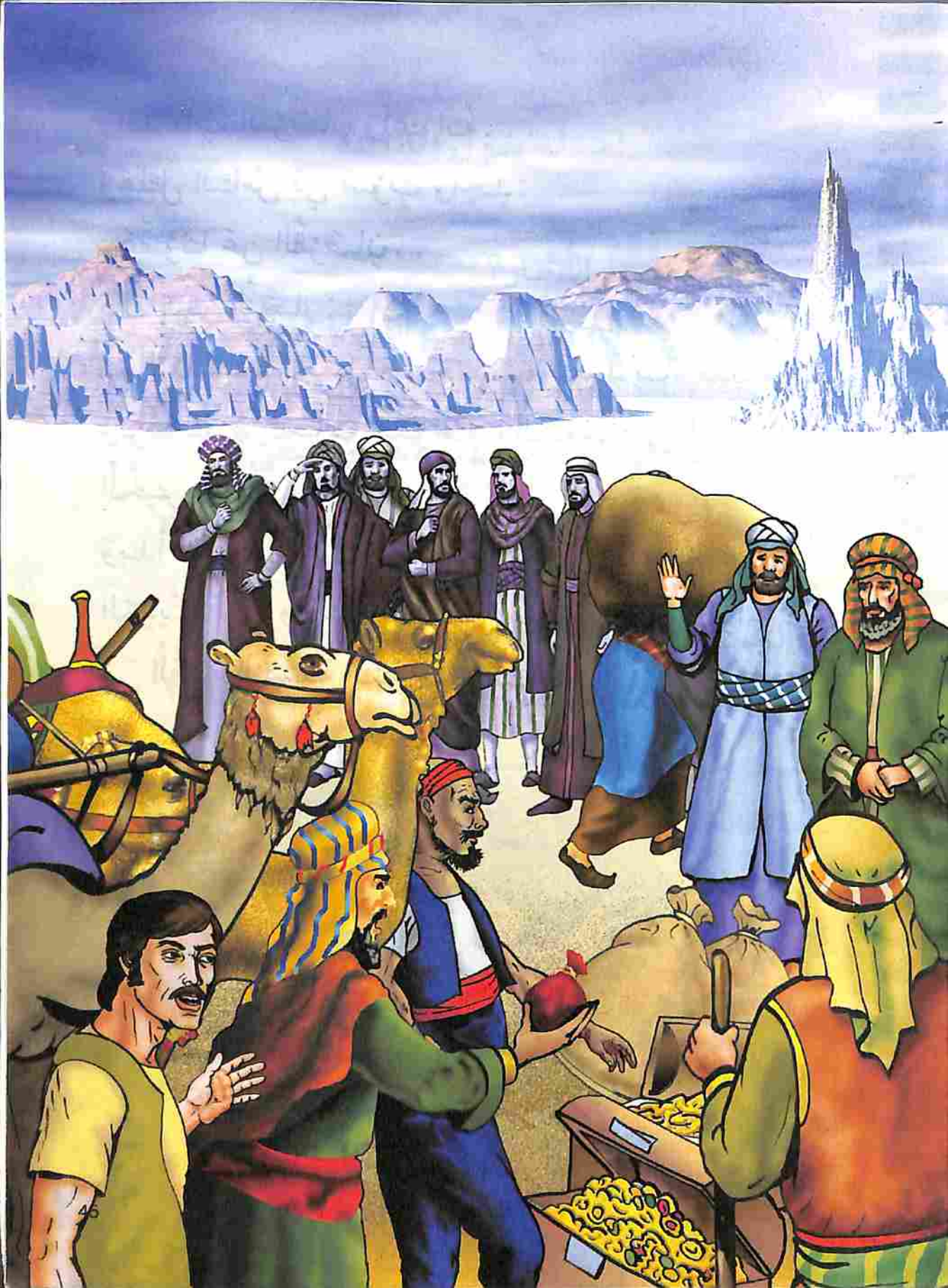

ـ لَقَدْ تَابَ القُرْصَانُ وَأَعْوَانُهُ . . .

وَهَلَّلَ النَّاسُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

ـ عَفَوْنَا عَنِ القُرْصَانِ . . .

قَالَ كَبِيرُ التُّجَّارِ:

ـ وَالآنَ لِنَبْدَأِ الْعَمَلَ فِي حَمَاسٍ، لِنُعِيدَ بِنَاءَ مَدِينَةَ الْخَيْرِ وَتَرَدَّدَتْ صَيْحَاتُ الْفَرْحَةِ وَالسَّعَادَةِ فِي أَرْجَاءِ مَدِينَةِ الْخَيْرِ . . .

وَبَدَأَ الْعَمَلُ الشَّاقُّ، وَاسْتَمَرَّ شُهُوراً طَوِيلَةً حَتَّى تَمَّ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ . . . وَاحْتَفَلَ أَهَالِي مَدِينَةُ الْخَيْرِ بِزَوَاجِ عَاصِمٍ مِنَ الْفَتَاةِ النَّبِيلَةِ ابْنَةِ كَبِيرِ التُّجَّارِ . . .

* * *

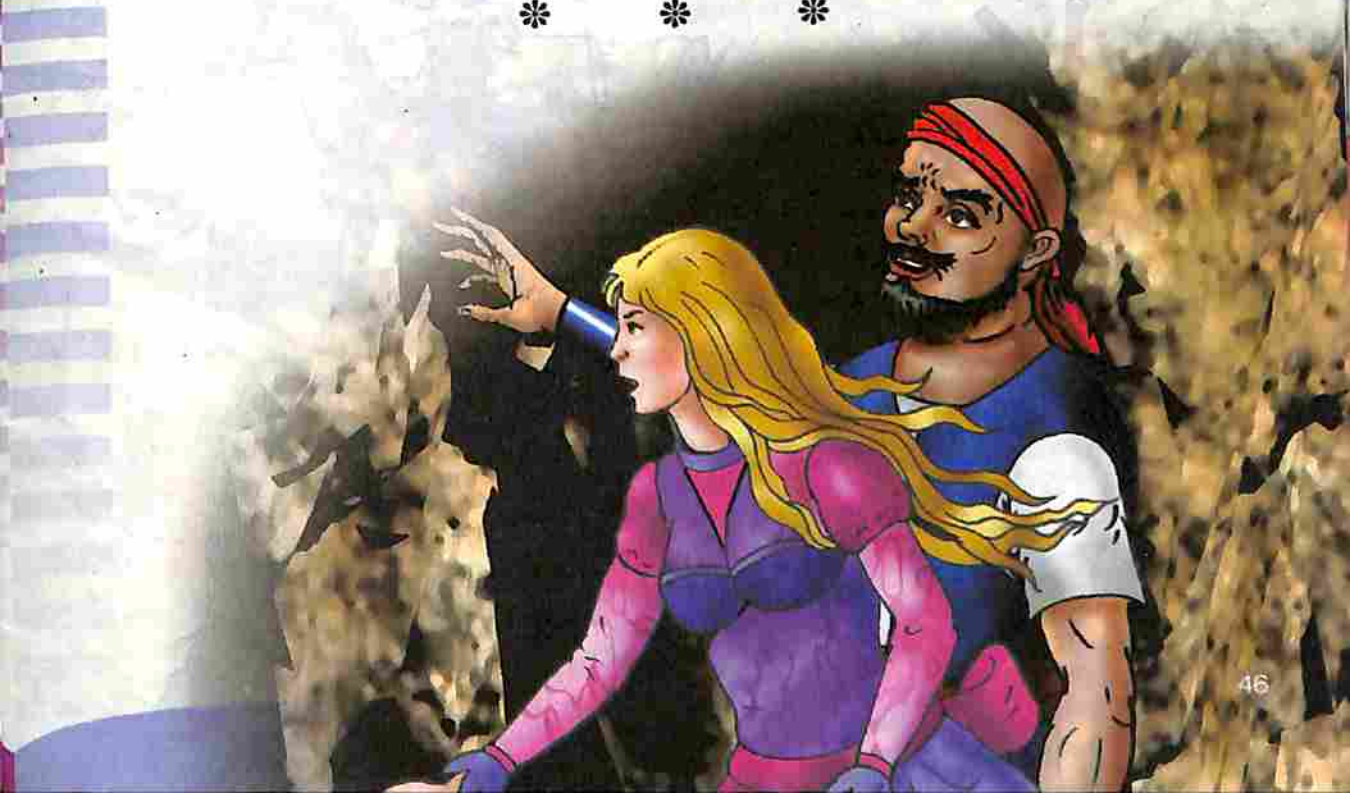

أسئلة حول القصة

- مَا سِرُّ حُزْنِ كَبِيرِ التُّجَّارِ؟
- لِمَاذَا قَرَّرَ كَبِيرُ التُّجَّارِ أَنْ يَهَبَ الْقَافِلَةَ لِسُكَّانِ مَدِينَتِهِ؟
- مَنْ هُوَ رَغْدَانُ؟ وَمَاذَا أَرَادَ مِنْ كَبِيرِ التُّجَّارِ؟
- صِفْ كَيْفَ اخْتَطَفَ القُرْصَانُ (هَادِرٌ) لَيْلَى؟
- مَنْ هُوَ عَاصِمٌ؟ وَمَا صِلَتُهُ بِالْقُرْصَانِ؟
- أَيْنَ كَنْزُ القُرْصَانِ؟ وَكَيْفَ جَمَعَهُ؟
- مَا الْخَطَرُ الَّذِي هَدَّدَ القُرْصَانَ وَهُوَ دَاخِلُ الْقَبْوِ؟
- لِمَاذَا اتَّفَقَ رَغْدَانُ مَعَ حَجَّارٍ؟ وَمَا هِيَ خُطَّتُهُمَا؟
- كَيْفَ أَنْقَذَ عَاصِمٌ القُرْصَانَ؟
- لِمَاذَا عَالَجَتْ لَيْلَى القُرْصَانَ وَالشِّرِّيرَيْنِ؟
- كَيْفَ اسْتَيْقَظَ ضَمِيرُ القُرْصَانِ؟
- مَا هِيَ خُطَّةُ لَيْلَى لِلتَّغَلُّبِ عَلَى قَاطِعِ الطَّرِيقِ (حَجَّارٍ) . . وَمَنِ الَّذِي نَفَّذَهَا؟
- مَاذَا فَعَلَ القُرْصَانُ بِالْكَنْزِ؟
- اكْتُبِ الْقِصَّةَ بِأُسْلُوبِكَ فِي ثَلَاثِ صَفَحَاتٍ.
- اخْتَرْ عُنْوَانًا آخَرَ لِلْقِصَّةِ.

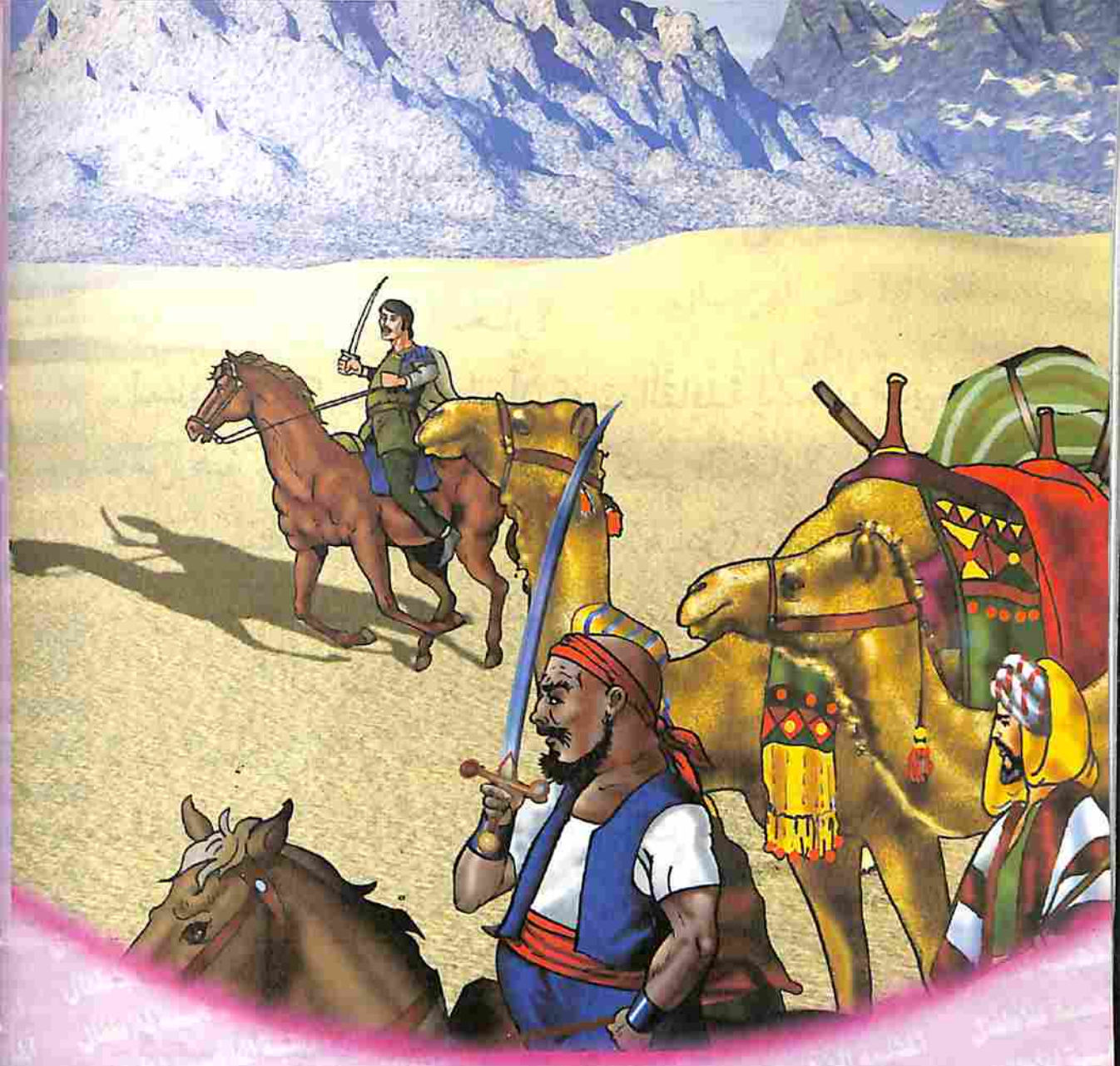

أطلب الأعداد الأخرى من المكتبة الذهبية
لتتعرف على قصص أخرى
ذات أحداث ومغامرات مثيرة ورائعة